الموصول في موضع الضمير
تعليلا في ضوء القرآن الكريم
دراسة تفسيرية تطبيقية

إعداد /

محمد السيد عبد العظيم النشاوي

مدرس التفسير وعلوم القرآن بكلية الدراسات

الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة

الموصول في موضع الضمير تعليلا في ضوء القرآن الكريم دراسة تفسيرية تطبيقية

محمد السيد عبد العظيم النشاوي

قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين، جامعة الأزهر، القاهرة، مصر.

البريد الالكترونى : MohamedAlnchaoy.11@azhar.eg

الملخص :

تناول البحث التعريف بمصطلح " موصول فى موضوع الضمير ويشتمل على التعريف باسم الموصول والضمير ، ومفهوم مصطلح "الوموصول فى موضوع الضمير وعلاقتة بالخروج على خلاف مقتضى الظاهر والامثلة التطبيقية لوضع الموصول موضوع الضمير فى القران والاغراض البلاغية التطبيقية لوضع الموصول موضع الضمير اجمالا عند المفسيرين والدراسة التطبيقية لوضع الموصول موضع الضمير تعليلا فى القران الكريم

الكلمات المفتاحية :التعليل ،الوصول، الضمير ، الظاهر ،الاغراض، البلاغية .

Connected to the place of conscience, explaining in the light of the Holy Quran a practical explanatory study

Mohammed Al Sayed Abdul Azim Al-Nashawi

Department of Interpretation and Qur'anic Sciences, Faculty of Islamic and Arab Studies for Boys, Al-Azhar University, Cairo, Egypt.

E-mail: MohamedAlnchaoy.11@azhar.eg

Abstract:

The research addressed the definition of the term "" connected in the subject of conscience and includes the definition of the name of the connected and conscience, and the concept of the term "connected in the subject of conscience and its connection to the exit contrary to the apparent requirement and applied examples of the status of the connected subject of conscience in the Quran and the applied rhetorical purposes of the position of the connected to the conscience in general when the inspectors and the applied study of the position of the connected to the position of conscience in the Holy Quran"

Keywords: explanation, access, conscience, phenomenon, purposes, rhetoric.

مقدمة

الحمد لله كما يحب أن يحمد، وأصلي وأسلم على نبينا محمد، صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً، وبعد:

فإن الأصل في الكلام العربي أن يكون على مقتضى الظاهر، ولكن قد يخرج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر؛ لغرض بلاغي أو أكثر يقدر في كل محل بما يناسبه.

وللخروج على خلاف مقتضى الظاهر- صور مختلفة وأساليب متعددة، منها: وضع اسم الإشارة موضع الضمير، ووضع الموصول موضع الضمير إلى غيرها من الأساليب البلاغية.

وقد عالج هذا البحثُ أسلوباً بلاغيا معيناً من هذه الأساليب، كشف عن بلاغة القرآن ووجوه إعجازه، فكان بعنوان: "الموصول في موضع الضمير؛ تعليلا"، واتخذتُّ من آيات القرآن الكريم مجالاً خصباً للتطبيق عليها، وسلكتُ في ذلك المنهجَ الاستقرائي التحليلي[1].

([1]) المنهج الاستقرائي: هو تتبع الجزئيات المتجانسة في شيء مِّا بقصد تركيب صورة كلية منها؛ لإنتاج قاعدة، أو تعميم حكم، فإذا كان التتبع شاملاً لكل الجزئيات سُمِّي ذلك بالاستقراء التام، وإذا كان مُهْمِلاً لبعضها سمِّي بالاستقراء الناقص. أما المنهج التحليلي: فهو منهج يقوم على دراسة الإشكالات العلمية التي تتعلق بالنص القرآني من ناحية التقديم والتأخير، أو التعريف والتنكير، أو المجمل والمبين إلخ تفكيكاً أو تركيباً أو تقويماً، فإن كان الإشكال تركيبَةً منغلقة، قام المنهج التحليلي بتفكيكها، وإرجاعِ العناصر إلى أصولها، أما إذا كان الإشكال عناصر متناثرة، فإن المنهج يقوم بدراسة طبيعتها ووظائفها؛ ليُركِّب منها نظرية ما، أو أصولاً ما، أو قواعد معينة. كما يمكن أن يقوم ==

أهمية الموضوع وسبب اختياره

١- عدم وجود مؤلَّف مفرد بهذا العنوان، فقد جاءت أمثلتُه من القرآن الكريم متناثرةً كثيرةً في كتب المفسرين، عند تفسير الآيات التي اشتملت على هذا الأسلوب البلاغي[١].

٢- الحاجة إلى معرفة هذا النمط من الأسلوب البلاغي؛ لدفع الإشكالات التي قد ترد على فهم الآيات القرآنية.

٣- الكشف عن بلاغة القرآن ووجوه إعجازه، حتى قال يحيى بن حمزة العلوي[٢]: واعلم أن الإظهار في موضع الإضمار وإن كان معدوداً من علم الإعراب لكن له تعلّق بعلم المعاني، وذلك أن الإفصاح بإظهاره في موضع الإضمار له موقع عظيم وفائدة جزلة[٣].

٤- وإنما اقتصرت على ذكر غرض بلاغي واحد من أغراض وضع الموصول موضع الضمير وهو التنبيه على علة الحكم؛ أولاً: لأن الموصول

==

المنهج التحليلي على تقويم إشكالٍ ما أي: نقده. أبجديات العلوم لفريد الأنصاري صـ٩٦، ١٨٦ بتصرف.

(١) ستأتي هذه الأمثلة القرآنية في مبحث مستقل إن شاء الله.

(٢) يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي: من أكابر أئمة الزيدية وعلمائهم المعتدلين في اليمن، من تصانيفه: الشامل في أصول الدين، والطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، وغيرهما، توفي في حدود سنة خمس وأربعين وسبعمائة هجرية. البدر الطالع للشوكاني ٣٣١/٢-٣٣٣. وهدية العارفين للبغدادي ٥٢٦/٢. بتصرف.

(٣) الطراز لأسرار البلاغة ١٤٨/٢ بتصرف.

وصلته يطرد فيهما هذا الغرضُ كثيراً؛ وثانيا: لوفرة الآيات القرآنية المشتملة على هذا الغرض، حتى صارت كافية لعمل بحث مستقل.

أهداف البحث

١- أن يتعرف القارئ مواطن وضع الموصول موضع الضمير في آيات القرآن الكريم.

٢- أن يتعرف القارئ على بعض الإشكالات التي قد ترد على فهم معاني القرآن.

٣- أن يفهم القارئ طريقة المفسرين في كيفية تطبيق الأساليب البلاغية.

****

خطوات البحث

١- سوف أقرأ في أغلب كتب التفسير، ثم أجمع المواضع التي ورد فيها وضع الموصول موضع الضمير؛ تعليلا- عند المفسرين- في القرآن الكريم.

٢- سوف أضع عنوانا لكل موضع ورد في الآية، ثم أرتِّبُه على حسب ترتيب التلاوة في المصحف مع عزوِ الآية إلى اسم السورة ورقْمها ورقْم الآية في الهامش، وكذا الآيات التي تأتي عرضاً في ثنايا البحث، فإني سوف أعزوها إلى سورتها ورقْمها ورقْم الآية في الهامش.

٣- سوف أتبع الآية الكريمة ببيان الأصل في التعبير القرآني، ثم أشرح الغرض البلاغي من وضع الموصول موضع الضمير في الآية وهو التنبيه

على علة الحكم، وإن كان هناك أغراض بلاغية أُخَرُ اشتمل عليها الأسلوب القرآني في الآية الواحدة- أذكرها وإن تعددت؛ إذ أن الأغراض البلاغية تتنوع ولا تتعارض.

٤- كل موطن وضع فيه الموصول موضع الضمير- يصلح أن يكون للتعليل، إلا أني أقتصر على دراسة المواطن التي نص المفسرون فيها على غرض التعليل.

٥- عند الحديث عن الأغراض البلاغية لوضع الموصول موضع الضمير إجمالا عند المفسرين- أُعَرِّفُ بكل غرض بلاغي على حدة مع التمثيل له بمثال من القرآن، مقتصرا على موضع الشاهد من كلام المفسرين؛ حتى يكون المثال دالاً بوضوح على الغرض البلاغي، ولا أتعرض لذكر باقي الأغراض البلاغية الأخرى التي اشتملت عليها نفس الآية.

٦- سوف أُبَيِّنُ معنى الكلمات الغامضة الواردة في ثنايا البحث، معتمداً على كتب المعاجم واللغة.

٧- سوف أذكرُ بإيجاز بيانات المصدر أو المرجع في هامش البحث مكتفياً بذكر المصدر أو المرجع ومؤلفه والجزء والصفحة؛ وذلك خشية تسويد الصفحات، مع تأخير ذكر البيانات كاملة إلى فهرس المصادر والمراجع، ذاكراً: اسم الكتاب، واسم المؤلف، وبيانات النشر متضمنة: دار النشر، ومكان النشر، ورقم الطبعة، وتاريخها، واسم المحقق، كل ذلك إن وجد.

****

الدراسات السابقة

أولا: المؤلفات المفردة حول الموضوع:

١- "نشر العبير في إقامة الظاهر مقام الضمير"[١]، تأليف: شمس الدين محمد بن الصائغ النحوي المتوفى سنة ٧٧٦هـ[٢]. ولم أقف عليه مخطوطاً أو مطبوعاً.

٢- "السر المصون في نكتة الإظهار والإضمار في ﴿أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ﴾، و﴿أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾"[٣]، تأليف: علي بن إبراهيم، المعروف بابن الأمير الصنعاني المتوفى في حدود سنة ١٢١٩هـ[٤]. وهو مطبوع [٥]. وقد ورد

---

(١) ذكره السيوطي في مقدمة الإتقان صـ٣٣. وحاجي خليفة في كشف الظنون ١٩٥٢/٢. بتصرف.

(٢) محمد بن عبد الرحمن بن علي، شمس الدين الحنفي الزمردي، ابن الصائغ: أديب، عالم، مصري. ولي قضاء العسكر وإفتاء دار العدل ودرّس بالجامع الطولوني، من كتبه: التذكرة في النحو، والغمز على الكَنْز في فقه الحنفية، والرقم على البُرْدَة، وغيرها. توفي نحو سنة ست وسبعين وسبعمائة. بغية الوعاة للسيوطي ١٥٥/١، ١٥٦. والفوائد البهية للكنوي صـ١٧٥. بتصرف.

(٣) ذكره الشوكاني في البدر الطالع ٢٩٠/١ بتصرف.

(٤) علي بن إبراهيم بن مُحَمَّد الأمير الصنعاني: لغوي، عالم، يمني. وله مصنفات منها: رسالة في تحريم تحلية السلاح بالذهب، وتأنيس أرباب الصفا في مولد المصطفى، والفتح الإلاهي بتنبيه اللاهي، وغيرها. مات سنة تسع عشرة ومائتين وألف . البدر الطالع للشوكاني ٢٩٠/١، ٢٩١. ونَيْل الوطَر لزَبَارَه اليمني ١١٠/٢-١١٥. بتصرف.

(٥) حقق مؤخراً في رسالة ماجستير، للباحث/حبيب سفيان محمد رضوان، إشراف/د. خالد نبوي سليمان حجاج، كلية العلوم الإسلامية- جامعة المدينة العالمية/ دولة ماليزيا، سنة النشر ١٤٣٣هـ- ٢٠١١م. وهذه الرسالة عندي.

قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[1] في أحد عشر موضعاً من القرآن الكريم، بينما ورد قولُه تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[2] في تسع مواضع، ويلحظ من ذلك أن ابنَ الأمير قصد في مؤلَّفِه بالاسمِ- الجنسَ وهو لفظ الناس، فلا يدخل معه الاسم الموصول، وكلاهما من أنواع الاسم المظهر، كما سيأتي إن شاء الله[3].

٣- "الإظهار في مقام الإضمار في القرآن الكريم"، تأليف: د. عبدالرزاق حسين أحمد. وهو كتاب مطبوع [4]. وقد تحدث مؤلفه بتوسع عن هذا المصطلح مبيناً مفهومه وأغراضه وعناية المفسرين به، وذكر أمثلة قرآنية كثيرة، منها ثلاثة أمثلة فقط من قبيل وضع الموصول موضع الضمير، وباقي الأمثلة للاسم المظهرِ المراد به الجنسُ.

ثانيا: العنوان ضمن مؤلفات:

فقد احتوت كتب علوم القرآن على الحديث عن هذا الموضوع، ومن أشهر هذه الكتب:

---

(١) سورة الأعراف ٧ من الآية ١٨٧. وسورة يوسف ١٢ من الآية ٢١، ٤٠، ٦٨. وسورة النحل ١٦ من الآية ٣٨. وسورة الروم ٣٠ من الآية ٦، ٣٠. وسورة سبأ ٣٤ من الآية ٢٨، ٣٦. وسورة غافر ٤٠ من الآية ٥٧. وسورة الجاثية ٤٥ من الآية ٢٦.

(٢) سورة الأنعام ٦ من الآية ٣٧. وسورة الأعراف ٧ من الآية ١٣١. وسورة الأنفال ٨ من الآية ٣٤. وسورة يونس ١٠ من الآية ٥٥. وسورة القصص ٢٨ من الآية ١٣، ٥٧. وسورة الزمر ٣٩ من الآية ٤٩. وسورة الجاثية ٤٥ من الآية ٣٩. وسورة الطور ٥٢ من الآية ٤٧.

(٣) يأتي ذكره في مطلب التعريف بالاسم الموصول والضمير.

(٤) نشرته مجلة الوعي الإسلامي- الكويت، الإصدار ٣٢، سنة ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م .

١- في كتاب الإكسير في علم التفسير، تأليف: سليمان الطُّوفي المتوفى سنة ٧١٦هـ- مبحثٌ بعنوان: في وضع الظاهر موضع الضمير تعظيماً أو تحقيراً[١]، حيث أورد مثالين من القرآن لغرض التعظيم، ومثالا من القرآن لغرض التحقير، فيها المثال الأخير من قبيل وضع الموصول موضع الضمير.

٢- في كتاب البرهان في علوم القرآن، للزركشي المتوفى سنة ٧٩٤هـ- قسمٌ بعنوان: وضع الظاهر موضع المضمر[٢]، وقد تحدث فيه بتوسع عن هذه الظاهرة، حيث أورد سبعة عشر غرضا بلاغياً لوضع الظاهر موضع المضمر، مع التمثيل بآيات كثيرة من القرآن، من بينها خمسةُ أمثلةٍ فقط من قبيل وضع الموصول موضع الضمير.

٣- في كتاب الإتقان في علوم القرآن للسيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ - مبحثٌ بعنوان: وضع الظاهر موضع الضمير[٣]، وقد أورد ستة عشر فائدة بلاغية، بالأمثلة عليها من القرآن، من بينها مثالان فقط من قبيل وضع الموصول موضع الضمير.

٤- في كتاب الزيادة والإحسان في علوم القرآن، تأليف: ابن عَقيلة المكي المتوفى سنة ١١٥٠هـ- مبحثٌ بعنوان: وضع الظاهر موضع الضمير[٤]، وقد ذكر ثنتي عشرة فائدة بلاغية لوضع الظاهر موضع

---

(١) الإكسير في علم التفسير للطوفي صـ٢٤٥.

(٢) البرهان للزركشي ٤٨٢/٢- ٥١٢.

(٣) الإتقان للسيوطي صـ ١٦٧٣- ١٦٧٨.

(٤) الزيادة والإحسان لابن عَقيلة المكي ١٦٣/٦- ١٦٧.

الضمير، مع التمثيل لها من القرآن، منها مثالٌ واحد فقط من قبيل وضع الموصول موضع الضمير.

وبعد التتبع والقراءة تبين أن السيوطي وابن عَقيلة قد أخذا ذلك كله من الزركشي دون التنبيه عليه.

****

خطة البحث

يتكون البحث من: مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، وفهارس.

المقدمة: وتشتمل على:

أهمية الموضوع وسبب اختياره- أهداف البحث- خطوات البحث- الدراسات السابقة- خطة البحث.

والمبحث الأول: التعريف بمصطلح "الموصول في موضع الضمير"، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالاسم الموصول والضمير .

المطلب الثاني: مفهوم مصطلح "الموصول في موضع الضمير"، وعلاقتُه بالخروج على خلاف مقتضى الظاهر.

المطلب الثالث: مصادر الأمثلة التطبيقية لوضع الموصول موضع الضمير في القرآن.

المطلب الرابع: الأغراض البلاغية لوضع الموصول موضع الضمير إجمالاً عند المفسرين.

والمبحث الثاني: الدراسة التطبيقية لوضع الموصول في موضع الضمير تعليلا في القرآن الكريم.

والخاتمة: وفيها أهم ما توصلت إليه من نتائج خلال ثنايا البحث.

والفهارس: تشتمل على:

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.

****

المبحث الأول

التعريف بمصطلح "الموصول في موضع الضمير"

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالاسم الموصول والضمير .

المطلب الثاني: مفهوم مصطلح "الموصول في موضع الضمير" وعلاقتُه بالخروج على خلاف مقتضى الظاهر.

المطلب الثالث: مصادر الأمثلة التطبيقية لوضع الموصول موضع الضمير في القرآن.

المطلب الرابع: الأغراض البلاغية لوضع الموصول موضع الضمير إجمالاً عند المفسرين.

المطلب الأول

التعريف بالاسم الموصول والضمير

الاسم نوعان: مُظْهَرٌ ومُضْمَرٌ.

فالمُظهَر: هو الاسم الصريح. وله أنواع منها: الجنس وهو اسم عينٍ: كـ "رجل وفرسٍ"، أو اسم معنىً: كـ "عِلْم وجَهْل" . ومنها: العَلَم وهو إما منقول عن غير العلمية: كـ "زَيْد وعَمْرو وثَوْر والعبّاسِ"، وإما مرتجل من أول الأمر: كـ "سُفيان وعِمران" . ومنها: المبهم وهو ما لا يتضح المراد منه ولا يتحدد معناه إلا بشيء آخر، وهو نوعان: أسماءُ الإشارة كـ "ذا وتَا وهؤلاء"، والموصولاتُ: كـ "الذي والتي وما ومَنْ". والنوع الثاني: المُضمَر: وهو الكناية عند الكوفيين[1].

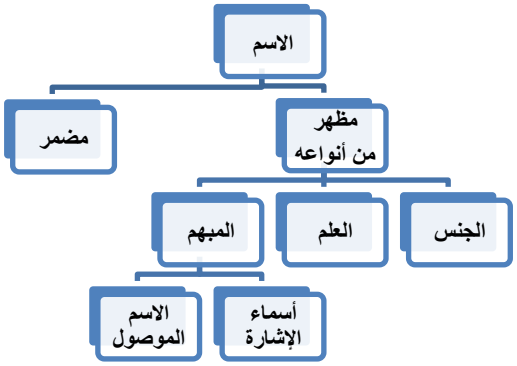

(1) المُغْرِب في ترتيب المُعْرِب للمُطَرِّزي ٤٠٢/٢، ٤٠٣. وشرح المفصل لابن يعيش ٢٢٣/٢. بتصرف.

أولا: الاسم الموصول:

وهو: اسم غامض مبهم يحتاج في تعيين مدلوله وإيضاح المراد منه، إلى صلة بعده، والصلة تكون جملة خبرية أو شبهها، ولابد فيها من ضمير يعود على الاسم الموصول أو ما يغني عنه.

والأسماء الموصولة قسمان: مختصة ومشتركة. أما الموصولات المختصة فهي: التي تفرد وتثنى وتجمع وتذكر وتؤنث حسب مقتضى الكلام، وهي: الذي، والتي، واللذان، واللتان، والذين، واللاتي واللائي واللاتِ واللاءِ، والأُلَى، نحو: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾[1]، و﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ﴾[2]، ﴿وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا﴾[3]، وجاءتني اللتان فعلتا، و﴿فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾[4]، ﴿وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن

---

(1) سورة الزمر ٣٩ من الآية ٣٣، وتمامها: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾.

(2) سورة المجادلة ٥٨ من الآية ١.

(3) سورة النساء ٤ من الآية ١٦، وتمامها: ﴿وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا ۖ فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾.

(4) سورة البقرة ٢ من الآيتين: ٢، ٣.

نِّسَآئِكُمْ ﴾[1]، وجاءني الأُلَى فعلوا أو الألَى فعلْنَ . أما الموصولات المشتركة فهي: التي تكون بلفظٍ واحد يصلح لكل من المفرد والمثنى والجمع، سواء أكان مذكراً أم مؤنثاً، وهي: "مَنْ، ما، أي، ذو، ذا"، تقول: يعجبني مَنْ جاءك، ومَنْ جاءتك، ومَنْ جاآك، ومَنْ جاءتاك، ومَنْ جاءوك، ومَنْ جئنَك"، وتقول لِمَنْ قال لك: اشتريتُ حماراً أو أتاناً، أو حمارين أو أتانين، أو حُمُراً أو أُتُناً- "أعجبني ما اشتريتَه وما اشتريتَها، وما اشتريتَهُما، وما اشتريتَهُم، وما اشتريتَهُن" وكذلك تفعل في: "أي، وذو عند طيئ، وذا بعد مَنْ ومَا الاستفهاميتين" [2].

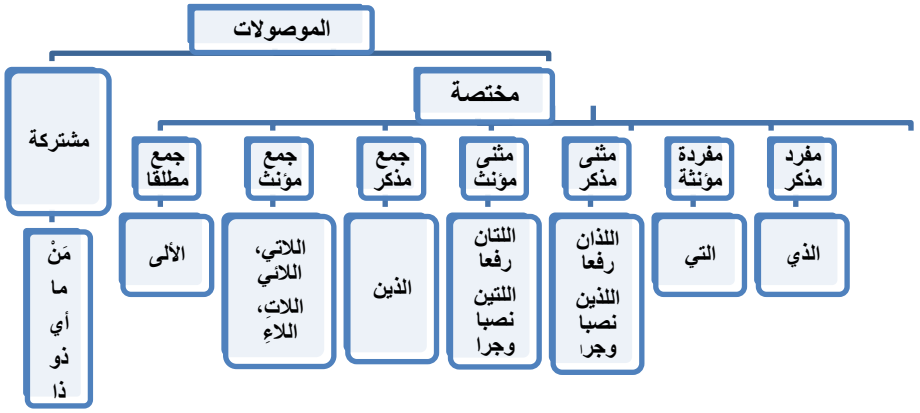

---

(1) سورة النساء ٤ من الآية ١٥، وتمامها: ﴿وَٱلَّٰتِى يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةً مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِى ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً ﴾.

(2) شرح شذور الذهب ١/١٧٤-١٨٠، وشرح قطر الندى لابن هشام صـ١٠١، ١٠٢. بتصرف.

ثانيا: المُضْمَر:

وهو ما وضع لمتكلم أو مخاطب أو غائب.

وهو نوعان: بارز ومستكنّ. فالبارز: ما لُفِظ بهِ وهو نوعان أيضاً: متصل ومنفصل.

فالمتصل: ما لا يُستغنَى عن اتصاله بشيء وهو مرفوع أو منصوب أو مجرور، فقولك في المرفوع: نَصرْتُ نصرْنَا، ونَصرْتَ، ونصرْتِ نصرْنَ". و"نصرُوا، نصَرَا، انصري". وفي المنصوب: "نصَرَني نصرَنَا، ونصرَكَ" إلى: "نصرَكُنَّ". و"نصرَه" إلى: "نصرَهُنَّ". وفي المجرور: "غلامي غلامُنا، وغلامُكَ" إلى: "غلامكنَّ". و"غلامُه" إلى: "غلامهُنّ".

والمنفصل: ما يُستغنَى عن اتصاله بشيءٍ كالمُظْهَر. وهو مرفوع أو منصوبٌ ولا مجرور له. فالمرفوع: أنا ونحن، و"أنت" إلى: "أنتُنَّ"، و"هو" إلى: "هنَّ". والمنصوب: إيّايَ إيانا، و"إيّاكَ" إلى: "إياكُنَّ"، و"إياهُ" إلى: "إياهنّ".

والمستكنّ: ما نُوِي نحو: " أنا أنصُر، ونحن ننصر، وأنت تنصُر، ومحمدٌ ينصُرُ المظلومَ"[1].

([1]) البديع في علم العربية لابن الأثير ٥/٢، ٦. والمُغْرِب في ترتيب المُعْرِب للمُطَرِّزي ٤٠٢/٢، ٤٠٣. بتصرف.

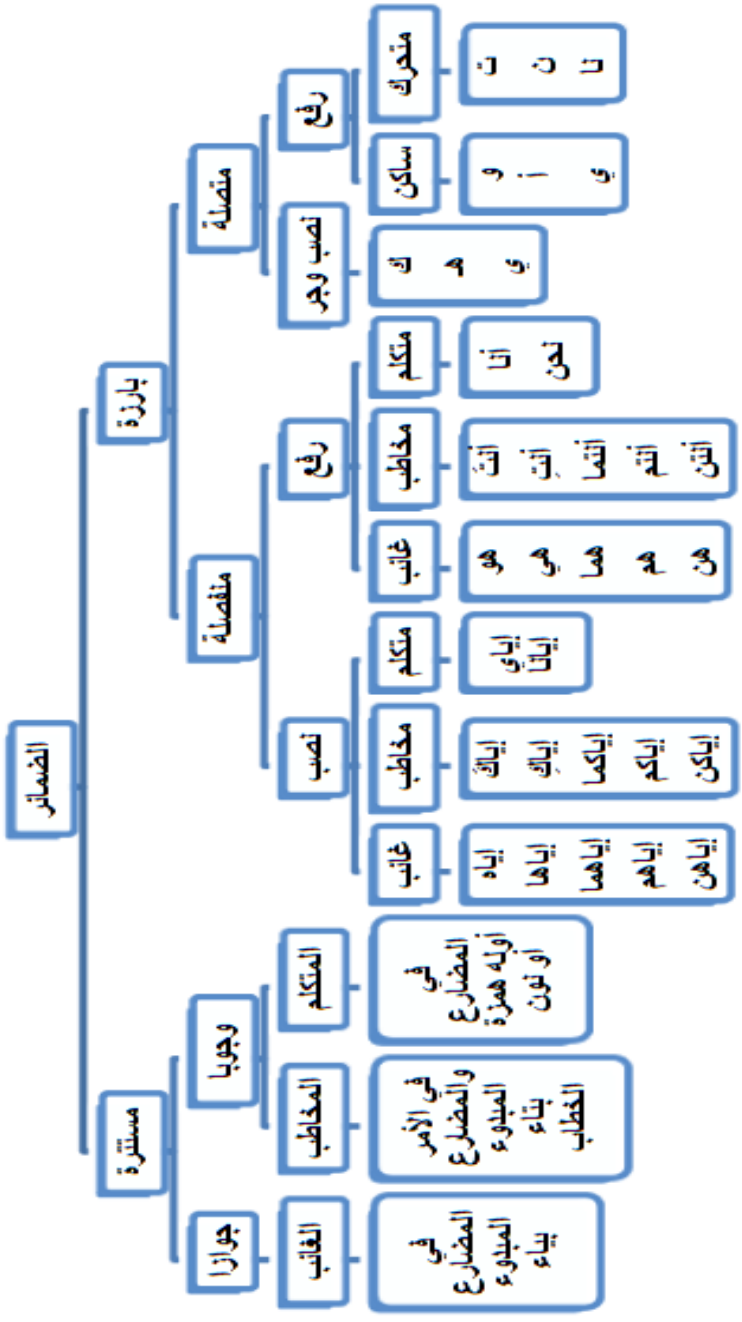
الضمائر
بارزة
منفصلة
رفع
متكلم
أنا
نحن
مخاطب
أنتَ
أنتِ
أنتما
أنتم
أنتن
غائب
هو
هي
هما
هم
هن
نصب
متكلم
إياي
إيانا
مخاطب
إياكَ
إياكِ
إياكما
إياكم
إياكن
غائب
إياه
إياها
إياهما
إياهم
إياهن
متصلة
رفع
متحرك
نا
ن
ت
ساكن
و
ا
ي
نصب وجر
ك
ه
ي
مستترة
وجوبا
المتكلم
في المضارع أوله همزة أو نون
المخاطب
في الأمر والمضارع المبدوء بتاء الخطاب
جوازا
الغائب
في المضارع المبدوء بياء

* * * *

المطلب الثاني

مفهوم مصطلح "الموصول في موضع الضمير"

وعلاقتُه بالخروج على خلاف مقتضى الظاهر

أولا: مفهوم مصطلح "الموصول في موضع الضمير":

أصل وضع الضمائر في اللغة إنما كان للاختصار والإيجاز، والتقليلِ من طول الكلام الذي يحصل بذكر الأسماء الظاهرة والتي منها الاسم الموصول(١).

كما أن الأصل ألا يذكر الضمير إلا وقد سبقه ما يعود عليه؛ ليكون المقصود بالكلام واضحا، تقول: "لقيتُ زيداً وأكرمتُه"، فتذكر الضمير في "أكرمتُه"؛ لأنه قد سبقه ما يعود عليه، ولا تقول: "لقيتُه" هكذا ابتداء؛ لأن ذلك ضرب من التعمية والإلباس، يناقض القصد من اللغة والبيان(٢).

ومن ثَمَّ بعد ذكر الأسماء الظاهرة عموماً- يُكْتَفَى بأن يكنَّى عنها بالضمائر، وبهذا يَقْصُر طول الكلام، ويصير للضمائر في الكلام مواضع يعتبر استعمالها فيها هو الأصل(٣).

ولكن قد يُعْدَلُ عن هذا الأصل، فتوضع الأسماء الموصولة في مواضع استعمال الضمائر؛ لأغراض بلاغيّة .

---

(١) شرح المفصل لابن يعيش ٣٢٧/٢، ٣٩٤ بتصرف.

(٢) خصائص التراكيب د/محمد أبو موسى صـ ٢٤١. بتصرف.

(٣) أي أن الأصل في الأسماء إذا ذكرت ابتداء أن تكون ظاهرة، وإذا أعيدت ثانياً فالأصل أن يكنى عنها بالضمير، كما أشار إلى ذلك الزركشيُّ في البرهان ٤٨٤/٢.

وعليه يكون معنى ظاهرة "الموصول في موضع الضمير": أن يقتضي السياق أن يؤتَى بالضمير، ولكن يؤتى بالاسم الموصول موضع الضمير؛ لنكتة بلاغية أو أكثر تقدر في كل محل بما يناسبه حسب السياق [١].

ثانيا: علاقة مصطلح "الموصول في موضع الضمير" بالخروج على خلاف مقتضى الظاهر:

إن ظاهرة "الخروج على خلاف مقتضى الظاهر" تعني: أن الأصل في الكلام أن يكون على مقتضى الظاهر، ولكنه قد يخرج على خلاف مقتضى الظاهر؛ لنكتة بلاغية أو سبب من الأسباب، وهذا الخروج له أساليب منها: أسلوب الحكيم[٢]، والالتفات[١]، ووضع المضمر موضع المظهر[٢]، والمظهر موضع المضمر[٣] إلى غيرها من الأساليب[٤].

---

(١) فتح البيان للقِنَّوجي ١٧٨/١ بتصرف.

(٢) أسلوب الحكيم هو: تلقي المخاطب بغير ما يَتَرَقَّبُ، بحمل كلامه على خلاف مراده؛ تنبيها على أنه الأولى بالقصد، أو السائلِ بغير ما يَتَطَلَّبُ بتنزيل سؤاله منزلة غيره؛ تنبيهاً على أنه الأولى بحاله، أو الأهمُّ له. أما الأول فكقول القَبَعْثَرَى الخارجي للحَجَّاج لما قال له متوعداً: "لأحملنك على الأدهم" والمراد به القيد الحديد الأسود، فرأى القَبَعْثَرَى أن الأدهم يصلح للقيد والفرس، فحمل كلامه إلى الفرس، فقال: "مِثْلُ الأمير يحمل على الأدهم والأشهب" أي الفرس الأسود والفرس الأبيض. فصرف الوعيد بالهوان إلى الوعد بالإحسان؛ تنبيها على أن الحمل على الفرس الأدهم هو الأولى بأن يقصده الأمير أو من على صفته في السلطان وبسطة اليد. وأما الثاني فكقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾، سألوا عن بيان ما ينفقون فأُجِيبوا ببيان المصرِف؛ تنبيهاً على أن هذا

==

وبما أن ظاهرة "الموصول في موضع الضمير" جزء من ظاهرة "المظهر في موضع المضمر"، فقد سبق أن ذكرتُ أن من أنواع الاسم المظهرِ المبهمَ بنوعيه الاسم الموصول واسم الإشارة، علما بأن الاسم المظهر يقابله الاسم المضمر.

==

هو الأولى والأجدر بالسؤال عنه. عروس الأفراح للبهاء السبكي ١/٢٨٣-٢٨٦. وخصائص التراكيب د/ محمد أبو موسى صـ٢٧٠. بتصرف.

(١) الالتفات عند الجمهور: هو التعبير عن معنىً بطريق التكلم أو الخطاب أو الغَيبة بعد التعبير عنه بطريق آخرَ منها، ومثاله قوله ﷻ: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾، فجاء بكلامه على طريقة التكلم، ثم قال: ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ على طريقة الخطاب، وكان مقتضى ظاهر السياق أن يقول: "وإليه أرجع" ولكنه جاء على طريقة الالتفات؛ تحذيراً لهم؛ وتنبيهاً إلى أنهم صائرون إلى الله وراجعون إليه، ولا يتأتى هذا لو قال: وإليه أرجع، وكأنه يقول لهم: كيف لا تتقون من يؤل أمركم إليه وتُسْأَلون بين يديه؟ الإيضاح للخطيب صـ٦٨. وخصائص التراكيب د محمد أبو موسى صـ ٢٥١. بتصرف.

(٢) كقولهم ابتداء من غير جري ذكرٍ لفظًا أو قرينةِ حال: "هو زيد عالم" مكان: "الشأن زيد عالم"؛ ليتمكن في ذهن السامع ما يعقبه، فإن السامع متى لم يفهم من الضمير معنىً بقي منتظرًا لعقبى الكلام: كيف تكون؟ فيتمكن المسموع بعده في ذهنه فضل تمكن . الإيضاح للخطيب صـ٦٦ بتصرف.

(٣) ومن أساليبه وضع الاسم الصريح موضع الضمير كقوله تعالى: ﴿وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَۗ﴾. الإيضاح للخطيب صـ ٦٧ بتصرف. والأصل أن يقال: "وبه نزل" مكان "وبالحق نزل".

(٤) الإيضاح للخطيب صـ٦٦- ٧١. وخصائص التراكيب د/محمد أبو موسى صـ ٢٤١ – ٢٧١. بتصرف.

وظاهرة "المظهر في موضع المضمر" جزءُ من ظاهرة "الخروج على خلاف مقتضى الظاهر".

إذن فالعلاقة بين ظاهرة "الموصول في موضع الضمير" وبين ظاهرة "الخروج على خلاف مقتضى الظاهر"- هي علاقةُ جزءٍ من كل.

****

المطلب الثالث

مصادر الأمثلة التطبيقية لوضع الموصول موضع الضمير في القرآن

وتلك الأمثلة متناثرة وموجودة في كتب التفسير، ومن أشهرها:

١- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للعلامة جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨هـ.

٢- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي المتوفى سنة ٥٤٢هـ.

٣- حاشية الطيبي على الكشاف المسماة فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، لشرف الدين الحسن محمد الطِّيبي المتوفى سنة ٧٤٣هـ.

٤- البحر المحيط لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي المتوفى سنة ٧٤٥هـ.

٥- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الجلي المتوفى سنة ٧٥٦هـ.

٦- حاشية ابن التمجيد على البيضاوي، لابن التمجيد مصلح الدين مصطفى بن إبراهيم الرومي الحنفي المتوفى سنة ٨٨٠هـ.

٧- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، تأليف: الشيخ الإمام الخطيب الشربيني المتوفى سنة ٩٧٧هـ.

٨- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، تأليف: قاضي القضاة أبي السعود بن محمد العمادي الحنفي المتوفى سنة٩٨٢هـ.

٩- عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي، تأليف: الشهاب الخفاجي المتوفى سنة ١٠٩٦هـ.

١٠- حاشية القونوي على تفسير البيضاوي، لعصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي المتوفى سنة ١١٩٥هـ.

١١- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تأليف: أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي المتوفى سنة ١٢٧٠هـ.

١٢- التحرير والتنوير، تأليف: الشيخ/ محمد الطاهر بن عاشور المتوفى سنة ١٣٩٣هـ.

****

المطلب الرابع

الأغراض البلاغية لوضع الموصول موضع الضمير

إجمالاً عند المفسرين

بالبحث والتتبع للأغراض البلاغية لوضع الموصول موضع الضمير وجدتُ ثَمَّةَ أغراضاً من أبرزها وأشهرها:

الغرض الأول: التوصل إلى الوصف بما في حيز الصلة:

وهذا الغرض له أساليب أُخَرُ منها: التنصيص على الاتصاف بما في حيز الصلة أو التنصيص على ما في حيزها.

ومن الآيات التي اشتملت على هذا الغرض- قوله ﷻ: ﴿وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [1].

ومقتضى الظاهر أن يكون التعبير: "ولأجر الآخرة خير لهم" بناء على أن المراد بالموصول المحسنون الذين تقدم ذكرهم في قوله: ﴿وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [2].

وإنما وضع الموصول موضع ضمير المحسنين؛ توصلا إلى وصفهم بالإيمان والتقوى.

([1]) سورة يوسف ١٢ الآية ٥٧.

([2]) السورة السابقة من الآية ٥٦.

قال أبو السعود: ﴿خَيۡرٌ﴾ لهم أي للمحسنين المذكورين، وإنما وُضِعَ موضعَه الموصولُ فقيل: ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾؛ تنبيهاً على أن المراد بالإحسان إنما هو الإيمانُ والثباتُ على التقوى المستفادُ من جمع صيغتي الماضي والمستقبل(١).

وقال القِنَّوجي: وفي الكلام إظهار في مقام الإضمار؛ للتوصل إلى وصفهم بالإيمان والتقوى بعد وصفهم بالإحسان(٢).

الغرض الثاني: الذم بما في حيز الصلة:

الذم- ضد المدح-: العيب، وأذَمَّ الرجلُ: فعل ما يُذَمُّ عليه(٣).

وقال أبو هلال العسكري: وذَمّ المكلف يدل على استحقاقه للعقاب بفعله، ولا يكون الذم إلا على الشيء القَبِيح، وقد يُواجَهُ به المذمومُ ويكون دونه(٤).

أي أن الذم يكون مِن الأعلى إلى مَنْ دونه، يعني: الشخص المذموم.

ومن الآيات التي اشتملت على هذا الغرض- قوله ﷻ: ﴿فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾(٥).

---

(١) إرشاد العقل السليم ١٦١/١. وينظر روح المعاني للآلوسي ٦/١٣.

(٢) فتح البيان ٣٥٨/٦. وينظر حدائق الروح والريحان لمحمد الأمين ٤٥/١٤ بزيادة: مبالغة في مدحهم.

(٣) مختار الصحاح للرازي صـ٩٤ بتصرف، مادة: ذمم.

(٤) الفروق اللغوية للعسكري صـ٥٢، ٥٣ بتصرف.

(٥) سورة المائدة ٥ من الآية ١١٠، وتمامها: ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذۡ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗاۖ وَإِذۡ عَلَّمۡتُكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَۖ وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ بِإِذۡنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيۡرَۢا ==

ومقتضى السياق أن يكون التعبير: "فقالوا إن هذا إلا سحر مبين" جريا على ضمير الغائب في قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾.

والمراد بالموصول في الآية اليهود، فقد هموا بقتل عيسى ﷺ لكن لم يتمكنوا منه، قال تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾(١).

وعدل عن ضمير بني إسرائيل إلى الموصول؛ لإفادة الذم، قال أبو السعود: وإنما وضع موضع ضميرهم الموصولُ؛ لذمِّهم بما في حيّز الصلة، فكلمة "مِنْ" بيانية(٢) (٣).

==

بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾.

(١) سورة النساء ٤ من الآية ١٥٧.

(٢) "مِنْ" البيانية: هي التي ما بعدها بيان لجنس ما قبلها، ويكثر وقوعها بعد "ما" و"مهما"؛ لإفراط إبهامهما، كقوله تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ﴾. وقد تقع بعد غيرهما، وعلامتها: صحة وقوع الموصول موقعها مع ضمير يعود على ما قبلها إن بيّنت معرفة، كقوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾، أي: الذي هو الأوثان؛ لأن الرجس عام يشمل الأوثان وغيرها، فإن بيّنت نكرة فعلامتها: أن يقع موقعها الضمير وحده، كقوله تعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾، أي: هي ذهب. مغني اللبيب لابن هشام ١٤٠/٤، ١٤١. وشرح التسهيل لناظر الجيش ٢٨٨٩/٦. وحاشية الصبان ٣١٣/٢. وفي الآية يكون التقدير: فقال الذين كفروا الذين هم اليهود؛ لأن ما قبلها معرفة وهم بنو إسرائيل، وهذه الكلمة تشمل اليهود وغيرهم.

(٣) إرشاد العقل السليم ١٤٨/٢. وينظر روح المعاني للآلوسي ٥٨/٧.

الغرض الثالث: المبالغة في التشنيع:

الشين والنون والعين- أصل واحد، يدل على رفع الذكر بالقبيح[١].

ومنه قول العرب: "قد شَنَّعَ فلانٌ على فلانٍ": أخبر عنه بأمر شديد عظيم [٢].

أي فضحه وشوَّه سمعته بين الناس.

ومن الآيات التي اشتملت على هذا الغرض- قوله: ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾[٣].

ومقتضى السياق الإضمار بأن يقال: "سيصيبهم صغار" تبعا لقوله: ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُواْ﴾[٤].

قال الآلوسي: وضع الموصول موضع الضمير؛ لمزيد التشنيع، وقيل: إشعارا بعلية مضمون الصلة[٥].

---

(١) مقاييس اللغة ٢١٨/٣، مادة: شنع.

(٢) الزاهر لابن الأنباري ٣٢٣/١ بتصرف .

(٣) سورة الأنعام ٦ من الآية ١٢٤.

(٤) السورة السابقة من الآية ١٢٤، وتمامها: ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ﴾.

(٥) روح المعاني للآلوسي ٢٢/٨. وهناك أغراض بلاغية أخرى لوضع الموصول موضع الضمير يصح أن تشتمل عليها الآية يأتي ذكرها في موضعها.

الغرض الرابع: تحقيق مناط الجزاء:

المناط مكان النوط وهو التعليق، ومنه: ناط الشيءَ يَنُوطُه نَوْطًا: علَّقه. ويرى آخرون أن المناط هو العلة، يقال: مناط الحكم بتحريم الخمر- هو الإسكار[1].

والمراد من "تحقيق مناط الجزاء" هنا: التحقق من مكان تعليق الحكم أو الجزاء.

ومن الآيات المشتملة على هذا الغرض- قوله ﷻ: ﴿سَنَجۡزِي ٱلَّذِينَ يَصۡدِفُونَ عَنۡ ءَايَٰتِنَا﴾[2].

ومقتضى السياق أن يقال: "سنجزيكم سوء العذاب" جرياً على أسلوب الخطاب في قوله ﷻ: ﴿فَقَدۡ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾.

---

(1) لسان العرب لابن منظور ٤١٨/٧، مادة: نوط. والكليات للكفوي صـ٣١٣، ٨٧٣. بتصرف.

(2) سورة الأنعام ٦ من الآية ١٥٧، وتمامها: ﴿أَوۡ تَقُولُواْ لَوۡ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمۡۚ فَقَدۡ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞۚ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنۡهَاۗ سَنَجۡزِي ٱلَّذِينَ يَصۡدِفُونَ عَنۡ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصۡدِفُونَ﴾.

قال أبو السعود: ﴿سَنَجۡزِي ٱلَّذِينَ يَصۡدِفُونَ﴾ الناسَ ﴿عَنۡ ءَايَٰتِنَا﴾ وعيدٌ لهم ببيان جزاء إضلالِهم، بحيث يُفهم منه جزاءُ ضلالهم أيضاً، ووضع الموصول موضعَ المضمرِ؛ لتحقيق مناطِ الجزاء ﴿سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ﴾[1] .

أي ليعلم أن تعلق هذا الجزاء إنما هو على مكانهم من الصدف، الذي هو قطع طريق الحق على المستعدّين لاتباعه.

الغرض الخامس: رعاية المقابلة:

المقابلة من قَبَل يقبُل وقابل المرء: واجهه، وقابل الشيء بالشيء: عارضه به[2]؛ ليرى وجه التماثل أو التخالف بينهما.

والشيئان المتقابلان إن كانا وجودَيين كالأبيض والأسود فالتقابل بينهما على سبيل التضاد، وإن كان أحدهما عدميا والآخر وجوديًا فالتقابل بينهما على سبيل التضايف كالأبوة والبنوة، أو على سبيل العدم والملكة كالعَمَى والبصر[3].

([1]) إرشاد العقل السليم ٣٠٩/٢. وينظر روح المعاني للآلوسي ٦٢/٨.

([2]) تاج العروس للزبيدي ٢١٩/٣٠ بتصرف.

([3]) التعريفات للجرجاني صـ٥، ٢٠٩. والكليات للكفوي صـ٨٤٥. بتصرف.

ومن الآيات التي تشتمل على هذا الغرض قوله: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ﴾[1].

تقدم ذكر ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ **في قوله** ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡ﴾[2].

ومقتضى السياق الإضمار أن يكون: "وقل لهم وللأميين" جريا على أسلوب الغَيبة في قوله ﷻ: ﴿فَإِنۡ حَآجُّوكَ﴾، **وأن ضمير واو الجماعة يعود على أقرب مذكور وهو:** ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾[3].

وإنما عدل عن ضمير أهل الكتاب إلى الموصول؛ لمراعاة المقابلة بين الأميين وأهل الكتاب، والضدُّ يُظْهِرُ حسنَه الضدُّ.

---

(1) سورة آل عمران ٣ من الآية ٢٠، وتمامها: ﴿فَإِنۡ حَآجُّوكَ فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾.

(2) السورة السابقة من الآية ١٩.

(3) واختلف في المراد بالضمير في ﴿حَآجُّوكَ﴾ على ثلاثة أقوال: عموم الناس، أو اليهود والنصارى، أو وفد نصارى نجران قدموا المدينة للمحاجة، وذهب إلى احتمال الأول- صاحب المنار ونسبه أبو حيان لأبي مسلم، وذهب إلى القول الثاني أبو حيان حيث استظهره، والطيبيُّ وغيرُهما، وذ هب إلى القول الثالث الطبريُّ وغيرُه ونسبه النسفيُّ للجمهور. جامع البيان للطبري ٢٨٠/٦. ومدارك التنزيل للنسفي ٢٤٣/١. وفتوح الغيب للطِّيبي ٥٩/٤. والبحر المحيط لأبي حيان ٤٢٧/٢. وتفسير المنار ٢٦٠/٣. بتصرف.

قال أبو السعود: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ أي: من اليهود والنصارى، وضع الموصول موضع الضمير؛ لرعاية التقابل بين وصفَي المتعاطفين، ﴿وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ﴾ أي: الذين لا كتاب لهم من مشركي العرب(١).

الغرض السادس: إفادة العموم:

والاسم الموصول بكل أقسامه ولغاته يفيد العموم والشمول لأفراد الجنس كله(٢).

ومن الآيات المشتملة على هذا الغرض قولُه ﷻ: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾(٣).

ومقتضى الظاهر أن يقول: "فمن أظلم مني؟"؛ جريا على أسلوب التكلم(٤)، على الفرض الجدلي أن هذا القرآن ليس من عند الله كما زعم المشركون.

---

(١) إرشاد العقل السليم ٤٥٦/١. وينظر روح المعاني للآلوسي ١٠٨/٣. وحدائق الروح والريحان لمحمد الأمين ٢٤٥/٤.

(٢) العقد المنظوم في الخصوص والعموم للقرافي ٣٦٧/١، ١٩/٢ بتصرف.

(٣) سورة يونس ١٠ الآية ١٧.

(٤) في قوله ﷻ: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآىِٕ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ سورة يونس ١٠ من الآية ١٥، ١٦.

فالفاء للإفصاح عن شرط مقدر، والاستفهام إنكاري، أي: إذا لم يكن هذا القرآن من عند الله- فأقول لكم: لا أحد أظلم ممن افترى على الله أو كذب بآياته، وإني لم أفترِ على الله ولم أكذبْ عليه، وأنتم فعلتم ذلك حيث زعمتم أن معه شريكاً، وأن هذا القرآن قد افتريتُه[1].

وإنما عُدل عن ضمير التكلم إلى الاسم الموصول؛ لقصد العموم والشمول، بحيث لا يختص بوصف الظلم المصطفى ﷺ وحدَه على الزعم المذكور- حاشاه- بل يشمل كل من افترى على الله أو كذب بآياته.

قال البقاعي: ﴿فَمَنْ﴾ أي فهو- أي الزعم المذكور- سبب لأن يقال: من ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ﴾ أي تعمد ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي: الذي حاز جميع العظمة ﴿كَذِبًا﴾ أي: أيَّ كذب كان، وكان الأصل: "مني" على تقدير أن لا يكون هذا القرآن من عند الله كما زعمتم، ولكنه وضع هذا الظاهر مكانه؛ تعميماً؛ وتعليقاً للحكم بالوصف ﴿أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ﴾ كما فعلتم أنتم، وذلك من أعظم الكذب[2].

أي إفادة عموم الظلم لكل من اتصف بالوصف، وهو ادعاء أن لا يكون القرآن من عند الله.

---

(1) التفسير الوسيط للواحدي ٥٤١/٢. وإرشاد العقل السليم لأبي السعود ٦٤٤/٢. بتصرف.

(2) نظم الدرر ٨٩/٩، ٩٠.

الغرض السابع: التسجيل:

التسجيل هنا: إثبات الفعل على المخاطب أو إقامة الحجة عليه؛ حتى لا يتأتى له الإنكار.

قال الزبيدي: سجَّل القاضي بكذا: حكم وقضى، وقيل: قرره وأثبته، وسجَّل عليه بكذا: شَهَرَهُ وَوَسَمَهُ [1].

ومن الآيات المشتملة على هذا الغرض- قوله: ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾[2].

والمراد بـ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ المشركون المعبر عنهم بالناس[3] في قوله: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ ﴾[4].

ومقتضى الظاهر أن يكون التعبير: "وهم أسروا النجوى"؛ جريا على أسلوب قوله ﷻ: ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾[5][6]؛ على تقدير أن ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ مبتدأ مؤخر والجملة قبله خبر مقدم[7].

([1]) تاج العروس ١٨١/٢٩ بتصرف، مادة: سجل.

([2]) سورة الأنبياء ٢١ من الآية ٣.

([3]) والقول بأن الذين ظلموا هم الذين أشركوا- ذهب إليه المفسرون بلا خلاف، مثل البغوي في معالم التنزيل ٣١٠/٥. والزمخشري في الكشاف ١٢٦/٤. وغيرهما.

([4]) سورة الأنبياء ٢١ من الآية ١.

([5]) السورة السابقة من الآية ٢.

([6]) فتوح الغيب للطيبي ٢٨٨/١٠ بتصرف.

([7]) وقد اختلف في محل الموصول على أقوال: فقيل: إنه في محل رفع بدل من الواو في ﴿وَأَسَرُّوا ﴾، قاله المبرد وغيره، وقيل: في محل رفع على أنه فاعل ﴿أَسَرُّوا ﴾ والواو علامة الجمع كالتاء في قامت، وهذا على لغة: أكلوني البراغيث، ذكر ذلك الأخفش، ==

وإنما عدل عن ضمير الناس إلى الموصول؛ لتسجيل الظلم عليهم بعدما وُصفوا به من الغفلة والإعراض واللعب واللهو.

قال أبو السعود: وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ إلخ هو مبتدأٌ خبرُه ﴿أَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى﴾ قُدِّم عليه؛ اهتماماً به، والمعنى: هم أسرّوا النجوى، فوضع الموصول موضعَ الضمير؛ تسجيلاً على فعلهم بكونه ظلماً[1].

ويمكن تحرير العبارة على أن تكون: تسجيلا عليهم بكون فعلهم ظلما.

الغرض الثامن: زيادة التقرير والتمكين:

أي تقرير الخبر أو الحكم وتمكينُه في نفسه لغرابته.

ومن الآيات المشتملة على هذا الغرض- قولُه ﷻ: ﴿أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ﴾[2] ؟

ومقتضى ظاهر السياق أن يكون: "أفهو- ﷻ- أحق أن يُتَّبَع أمْ مَن لا يَهِدِّي إلخ؟"؛ حيث إن المرادَ بـ "مَنْ" الموصولة الواقعة بعد الفاء

==

وقال الكسائي: فيه تقديم وتأخير، أي: والذين ظلموا أسروا النجوى. مشكل إعراب القرآن لمكي ٤٧٧/٢. وغرائب التفسير للكرماني ٧٣٤/٢. بتصرف.

(1) إرشاد العقل السليم ٦٨٤/٣. وينظر الكشاف للزمخشري ١٢٦/٤. ومفاتيح الغيب للرازي ١٤١/٢٢. وأنوار التنزيل للبيضاوي ٤٥/٤. والبحر المحيط لأبي حيان ٢٧٦/٦. وجامع البيان للإيجي ٥/٣. والسراج المنير للشربيني ٤٩٥/٢. والتفسير المظهري ١٨٣/٦. وروح المعاني للآلوسي ٧/١٧.

(2) سورة يونس ١٠ من الآية ٣٥.

العاطفة[١]– اللهُ ﷻ، وقد تقدم ذكرُه في قوله: ﴿قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهۡدِي لِلۡحَقِّۗ﴾ الآية [٢].

وإنما عدل عن الضمير إلى الاسم الموصول؛ لزيادة تقرير هداية الله للحق وعدم هداية الشركاء، فقد أثبت في أول الآية أن الله يهدي للحق، ثم رتب عليه سؤالا تقريرياً فحواه: أفمن يهدي إلى الحق– وهو الله– أحق بالاتباع، أمن لا يَهْتَدِي بنفسه فضلا أن يَهْدِيَ غيرَه أحق؟

قال الآلوسي: وصيغة التفضيل إما على حقيقتها والمفُضَّل عليه محذوف، والتقدير: أفمَنْ يَهْدِي إلى الحق أحقُّ أن يتبع ممن لا يَهْدِي، أمْ مَن لا يَهِدِّي أحق، وإما بمعنى حقيق، وهو خبر عن الموصول، والموصول– على المعنَيَيْن– في موضع الإضمار؛ لزيادة التقرير[٣].

الغرض التاسع: **تكرير الحكم**:

ومن الآيات المشتملة على هذا الغرض– قولُه ﷻ: ﴿ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٤].

([١]) والفاء لترتيب الاستفهام التقريري على ما سبق كأنه قيل: إذا كان الأمر كذلك فأنا أسألكم أمن يهدي إلى الحق أحق بالاتباع، أمن لا يهتدي بنفسه إلا أن يهديه غيرُه أحق؟ روح المعاني للآلوسي ١١/١١٤ بتصرف.

([٢]) سورة يونس ١٠ من الآية ٣٥.

([٣]) روح المعاني ١١/١١٤، ١١٥ بتصرف.

([٤]) سورة المائدة ٥ من الآية ٧٣.

ومقتضى ظاهر السياق أن يقول: "ليمسنهم عذاب أليم" بناء على أن المراد بالضمير القائلون المتقدمون[1] في قوله سبحانه: ﴿لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ ... ۝٧٢ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖ ...﴾ الآية [2].

وإنما عدل عن الضمير إلى الاسم الموصول؛ لتكرير الحكم عليهم بالكفر نصاً.

قال أبو السعود: وقوله تعالى: ﴿ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ إلخ أي وبالله إن لم ينتهوا ليمسنهم، وإنَّما وُضِعَ موضعَ ضميرِهم الموصولُ؛ لتكرير الشهادة عليهم بالكفر[3].

وجاءت الشهادةُ بالكفر على هؤلاء النصارى في قوله: ﴿لَقَدۡ كَفَرَ﴾، ثم كررت في قوله: ﴿ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾.

([1]) قال ابن جرير الطبري: المعنى ليمسن الذين يقولون: "المسيح هو الله"، والذين يقولون: "إن الله ثالث ثلاثة آلهة"، وكلَّ كافر يسلك سبيلهم- عذابٌ أليم. جامع البيان ٤٨٢/١٠ بتصرف. وينظر زاد المسير لابن الجوزي ٤٠٣/٢.

([2]) سورة المائدة ٥ من الآية ٧٢، ٧٣.

([3]) إرشاد العقل السليم ١٠١/٢. وينظر الكشاف للزمخشري ٢٧٦/٢. وأنوار التنزيل للبيضاوي ١٣٨/٢. ومدارك التنزيل للنسفي ٢٧٦/١. والبحر المحيط لأبي حيان ٥٤٤/٣. والدر المصون للسمين ٣٧٦/٤. واللباب لابن عادل ٤٦١/٧. وغرائب القرآن للنيسابوري ٦٢٣/٢. وروح البيان لحقي ٤٢٣/٢. والتفسير المظهري ١٤٨/٣. وروح المعاني للآلوسي ٢٠٨/٦. وحدائق روح والريحان لمحمد الأمين ٤٤٤/٧. وهناك أغراض بلاغية أخرى لوضع الموصول موضع الضمير يصح أن تشتمل عليها الآية يأتي ذكرها في موضعها.

الغرض العاشر: التصريح بالمساوئ:

المسَاوِي العيوبُ، وهي ضد المحاسن، وقد اختلفوا في مفردها؛ فقيل: لا واحد لها، وقيل: واحدها سُوءٌ على غير قِيَاس وأصله- أي حرف الياء- الهمز[1] .

ومن الآيات المشتملة على هذا الغرض- قولُه ﷻ: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾[2].

ومقتضى الظاهر: "ولا يستخفوك" بناءً على سياق ضمائر الغَيبة في الآيات المتقدمة من أول قوله تعالى: ﴿فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعۡذِرَتُهُمۡ﴾[3] الآية.

ولكن وضع الموصول موضع ضمير المشركين؛ للتصريح بمساوي المشركين ومعايبهم ونقائصهم.

قال ابن عاشور: و﴿ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾: هم المشركون الذين أُجْرِيَتْ عليهم الصفات المتقدمة، من الإجرام والظلم والكفر وعدم العلم، فهو إظهار في مقام الإضمار؛ للتصريح بِمَسَاويهم[4].

---

(1) تاج العروس للزبيدي ٢٧٩/١ بتصرف، سَوَأ.

(2) سورة الروم ٣٠ الآية ٦٠.

(3) السورة السابقة من الآية ٥٧.

(4) التحرير والتنوير ١٣٥/٢١، ١٣٦.

الغرض الحادي عشر: الإشعار بالمدار:

المدَار مَوضِع الدوران، ومدار الأمر ما يدور أو يُبْنَى عليه غالباً[1].

ومن الآيات المشتملة على هذا الغرض البلاغي- قوله ﷻ: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ﴾[2].

ومقتضى الظاهر أن يقال في غير القرآن: "لهم مثل السوء" بناء على سياق الضمائر في الآيات السابقة من أول قوله ﷻ: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾[3] الآية.

قال أبو السعود: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ ﴾ ممن ذكرت قبائحُهم ﴿مَثَلُ ٱلسَّوْءِ﴾: صفةُ السَّوْءِ الذي كالمثَل في القبح وهي: الحاجةُ إلى الولد؛ ليقوم مقامهم عند موتهم، وإيثارُ الذكور للاستظهار بهم، ووأدُ البنات؛ لدفع العار وخشية الإملاق، المنادي كلٌّ ذلك بالعجز والقصورِ والشحِّ البالغ، ووضع الموصول موضعَ الضميرِ؛ للإشعار بأن مدارَ اتصافِهم بتلك القبائح هو الكفرُ بالآخرة[4].

أي أن أساس اتصافهم بالقبائح السالفة- مبني على عدم الإيمان بالآخرة، حيث إن الإيمان بالآخرة إيمانا صادقا يبعث في النفس الطمأنينة

---

(1) التعريفات للجرجاني صـ ١١٠ بتصرف.

(2) سورة النحل ١٦ من الآية ٦٠.

(3) سورة النحل ١٦ الآية ٥٦.

(4) إرشاد العقل السليم ٣/٣٧٤. وينظر روح المعاني للآلوسي ١٤/١٧٠. ومحاسن التأويل للقاسمي صـ٣٨٢٠ .

على المستقبل، فلا هلع من الناحية المالية؛ لأنه يعرف أن هناك يوما آخر، يُعْطَى فيه العامل الذي حرم من ملاذ الدنيا وشهواتها، وأما من لا يؤمن بالآخرة فإنه في فزع وتقتير دائم، ويظن في مستقبله الظنون، فتجده يخشى على البنت الفقر والعار والقهر لها وغير ذلك فيئدها، ويفرح بالذَّكَر؛ لأنه يكفيه عيشه، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الغرض الثاني عشر: الإيذان بكمال سوء الحال:

ومن الآيات المشتملة على هذا الغرض البلاغي- قولُه ﷻ: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ﴾[1].

والظاهر أن يكون التعبير: "ولئن أتيتهم إلخ" بناء على أن المراد بالموصول عين المراد من الموصول[2] في قوله ﷻ: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾[3]، وهم علماءُ اليهود والنصارى[4].

---

(1) سورة البقرة ٢ من الآية ١٤٥.

(2) روح المعاني للآلوسي ١١/٢. والتحرير والتنوير لابن عاشور ٣٥/٢.

(3) سورة البقرة ٢ من الآية ١٤٤.

(4) اختلف المفسرون في المراد من الموصول في قوله: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ على قولين: الأول: المراد علماؤهم المذكورون في الآية المتقدمة بقوله: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾، وهو قول أبي بكر الأصم وغيره، نسبه الفخر الرازي إليه. والقول الثاني: المراد جميع اليهود والنصارى، وهو قول الجمهور كالبغوي والشربيني وغيرهما. معالم التنزيل للبغوي ١٦٣/١. ومفاتيح الغيب للرازي ١٣٧/٤. وغرائب القرآن للنيسابوري ٤٣١/١. والسراج المنير للشربيني ١٠٢/١.

قال أبو السعود: وضع الموصول موضِعَ المضمرِ؛ للإيذان بكمالِ سوءِ حالِهم من العناد مع تحقق ما ينافيه من الكتاب الناطق بصدق ما كابروا في قبوله[1].

يعني: أنهم قد انتهوا في العناد وإظهارِ العداء، إلى رتبة لو جئتهم فيها بجميع المعجزات- ما تبعوك ولا سلكوا طريقك.

الغرض الثالث عشر: تهجين الحال:

التهجين من الْهُجْنَة، والْهُجْنَة من الكلام ما يعيبُك، والتهجينُ التقبيحُ[2].

ومن الآيات المشتملة على هذا الغرض البلاغي- قولُه ﷻ: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[3].

ومقتضى السياق الإضمار: "فلا يجزون إلا ما كانوا يعملون" بناء على أن المراد من ﴿ٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ عينُ ما أريد بـ ﴿مَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ .

قال أبو السعود: وضع الموصول والظَّاهر موضعَ الضَّميرِ؛ لتهجينِ حالِهم بتكريرِ إسنادِ السيئةِ إليهم[4].

([1]) إرشاد العقل السليم ٢٨١/١ بتصرف. وينظر روح المعاني للآلوسي ١١/٢. وحدائق الروح والريحان لمحمد الأمين ٤٢/٣.

([2]) لسان العرب لابن منظور ٤٣١/١٣، مادة: هجن. والقاموس المحيط للفيروز ابادي ٢٧٢/٤، باب النون فصل الهاء. بتصرف.

([3]) سورة القصص ٢٨ من الآية ٨٤.

([4]) إرشاد العقل السليم بتصرف يسير ٣٢٢/٤. وينظر الكشاف للزمخشري ٥٢٩/٤. وأنوار التنزيل للبيضاوي ١٨٧/٤. ومدارك التنزيل للنسفي ٦٦١/٢. والبحر المحيط لأبي حيان ١٣٢/٧. وغرائب القرآن للنيسابوري ٣٦٤/٥. وروح البيان لحقي ٤٣٩/٦. والبحر ==

أي لقصد تهجين حال المسيئين على العمل الذميم، الذي ماتوا عليه وأتوا به يوم القيامة.

الغرض الرابع عشر: ذكر الحال السابقة المباينة:

ومن الأمثلة على هذا الغرض البلاغي- قولُه ﷻ: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[1].

ومقتضى الظاهر أن يقول: "ونريد أن نمن عليهم إلخ" بناء على أن ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ هم الطائفة التي استضعفها فرعونُ حيث قال ﷻ: ﴿يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ﴾[2] وهم بنو إسرائيل[3].

==

المديد لابن عجيبة ٢٨١/٤. والتفسير المظهري ١٨٧/٧. وروح المعاني للآلوسي ١٢٧/٢٠. وفتح البيان للقِنَّوجي ١٥٨/١٠. ومحاسن التأويل للقاسمي صـ٤٧٣١. وحدائق الروح والريحان لمحمد الأمين ٣٢٦/٢١.

(١) سورة القصص ٢٨ من الآية ٥.

(٢) سورة القصص ٢٨ من الآية ٤، وتمامها: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾.

(٣) اختلف المفسرون في المراد بـ ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ على قولين: الأول والمشهور: أنهم بنو إسرائيل، وذهب إليه الجمهور كالطبري والبغوي وغيرِهما. والقول الثاني: أنهم يوسف وولده، نسبه الماوردي وغيرُه إلى علي بن أبي طالب ﷺ .جامع البيان للطبري ٥١٧/١٩. ومعالم التنزيل للبغوي ١٩٠/٦. والنكت والعيون ==

قال أبو السعود: ووضعُ الموصولِ موضعَ الضميرِ؛ لإبانةِ قدرِ النِّعمةِ في المنَّة بذكر حالتِهم السَّابقةِ المُباينةِ لها[1].

وحالتهم السابقة هي الاستضعاف المباينة لإنعام الله عليهم وهو التمكين في الأرض من جعل المستضعفين أئمة وارثين، وسادة غالبين.

الغرض الخامس عشر: قطع الطمع:

الطَّمَعُ: الحِرْصُ والرجاءُ، وهو خلاف اليأس، يقال: طَمِعَ فيه، وبه، كفرِحَ: حَرِصَ عليه ورجاه، والجمع أطْمَاع[2].

ومن الأمثلة على هذا الغرض- قولُه ﷻ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾[3].

ومقتضى الظاهر أن يكون التعبير: "وقالوا لن نؤمن بهذا القرآن إلخ" بناء أن المراد بالموصول عين المراد بالمستهزئين القائلين: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[4]، وهم مشركو مكة[5].

==

للماوردي ٢٣٤/٤. بتصرف. والقول الثاني يُعارَضُ بأن يوسف عليه السلام وإن كان من بني إسرائيل ومُكِّن أيضاً، لكنه ليس المعنِيَّ في تفسير الجمهور القائلين بأنهم الذين كانوا في زمن فرعون موسى عليه السلام.

([1]) إرشاد العقل السليم ٢٩٢/٤. وينظر التفسير المظهري ١٤٤/٧. وروح المعاني للآلوسي ٤٣/٢٠.

([2]) تاج العروس للزبيدي ٤٥٩/٢١ بتصرف، مادة طمع.

([3]) سورة سبأ ٣٤ من الآية ٣١.

([4]) السورة السابقة من الآية ٢٩.

([5]) اختلف في المراد من ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ في الآية على قولين: الأول: أنهم المشركون- المنكرون للنبوة والحشر- من كفار مكة كأبي جهل وأصحابه، وهذا قول

==

وإنما وضع الاسم الموصول موضع الضمير الغائب؛ لقطع الطمع عن دعاء هؤلاء الكافرين –المستهزئين والمعاندين– إلى الإيمان بالقرآن وما أخبر به من أمر المعاد وغيره [1].

قال البقاعي: في قوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ عبر بالموصول وصلته في موضع الضمير؛ قطعاً للأطماع عن دعائهم[2].

==

الجمهور كالواحدي والنسفي وغيرهما. القول الثاني: المراد عموم الكفار، وهو لبعض المفسرين كالفخر الرازي وابن عادل وغيرهما، حيث أرواده ضمن قولين. التفسير الوسيط للواحدي ٤٩٥/٣. ومفاتيح الغيب للرازي ٢٦٠/٢٥. ومدارك التنزيل للنسفي ٦٤/٣. واللباب لابن عادل ٦٧/١٦. بتصرف.

(١) اختلف المفسرون في المراد ﴿بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ على أربعة أقوال: الأول والمشهور: أنه التوراة والإنجيل وغيرُهما من الكتب المتقدمة، وذهب إليه كثير من المفسرين كالزجاج وابن عطية وغيرهما. والثاني: أن المراد ما في القرآن من الإخبارات والآيات والدلائل، وذهب إليه بعضهم كالرازي وغيرِه، حيث أورده ضمن قولين. الثالث: أنه يوم القيامة وما فيه من جنة ونار وغيرهما، وذهب إليه بعضهم كالإيجي وغيره، حيث أورده أيضاً ضمن قولين. القول الرابع: أنه الأنبياء، وذهب إليه بعضهم كالماوردي وغيره، حيث أورده أيضاً ضمن عدة أقوال. معاني القرآن للزجاج ٢٥٤/٤. والنكت والعيون للماوردي ٤٥١/٤. والمحرر الوجيز لابن عطية ٤٢٠/٤، ٤٢١. ومفاتيح الغيب للرازي ٢٦٠/٢٥. وجامع البيان للإيجي ٣٨٨/٣. وجميع الأقوال مرجعها إلى القول الثاني؛ لأن القرآن الكريم قد اشتمل على ذكرها جميعاً.

(٢) نظم الدرر ٥٠٧/١٥ بتصرف.

الغرض السادس عشر: زيادة الكشف والبيان:

ومن الآيات المشتملة على هذا الغرض البلاغي- قولُه ﷻ: ﴿فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ﴾[1].

ومقتضى السياق أن يكون الكلام: "فإن كان سفيها أو ضعيفا إلخ " بناء على تقدم ذكر ﴿ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ﴾ في نفس الآية: ﴿فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا ﴾[2]، فجرى الكلام على سياق الضمائر.

قال أبو السعود: ﴿فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ ﴾ صرح بذلك في موضع الإضمار؛ لزيادة الكشف والبيان، لا لأن الأمر والنهى لغيره[3].

أي عدل عن الضمير الغائب إلى الاسم الموصول؛ زيادةً في التوضيح والبيان، فإن الذي عليه الحق المذكور أولا غيرُ الذي عليه الحق المذكور ثانياً، فالأول المراد به الفاهم المتكلم القادر، والثاني هو السفيه أو الضعيف أو الذي لا يستطيع.

قال الشيخ أبو زهرة: ذكر سبحانه في هذا النص ثلاثة لا يحسنون الإملاء، وهم: أولا: السفيه، وهو الجاهل بالعقود والتصرفات، أو الذي لا

---

(1) سورة البقرة ٢ من الآية ٢٨٢.

(2) السورة السابقة من الآية ٢٨٢.

(3) إرشاد العقل السليم ٤١٧/١. وينظر روح المعاني للآلوسي ٥٧/٣. وفتح البيان للقِنَّوجي ١٤٨/٢. وتفسير المنار لرشيد رضا ١٢٢/٣. وزهرة التفاسير لأبي زهرة ١٠٧٠/٢. وحدائق الروح والريحان لمحمد الأمين ١٤٢/٤.

رأي له، أو المبذر المتلاف الذي لا يحسن تدبير أموره وإدارة أمواله، وكل هذه معانٍ تدور حول الجهل بالعقود، أو فساد الرأي في التصرفات. وثانيا: الضعيف وهو الصبي والشيخ الهرم. ثالثا: من لا يستطيع، وهو معقود اللسان، أو من لا خبرة له بهذه العقود[1].

الغرض السابع عشر: النعي بما في حيز الصلة:

"نَعَى" النون والعين والحرف المعتل: أصل يدل على إشاعة شيء. ويقَال أيضاً: فلان ينعَى على نَفسه بالفواحش إذا شَهَر نَفسَه بتعاطيها[2].

أي النعي يكون بمعنى الإذاعة والإشاعة، ويكون بمعنى الإعلان والإشهار أو الشَهْر.

ومن الأمثلة على هذا الغرض البلاغي- قولُه ﷻ: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[3].

---

(1) زهرة التفاسير ١٠٧٠/٢.

(2) تهذيب اللغة للأزهري ١٣٩/٣، ومقاييس اللغة لابن فارس ٤٤٧/٥ بتصرف. مادة: نعى.

(3) سورة الروم ٣٠ الآية ٥٩.

ومقتضى الظاهر: أن يكون التعبير: "يطبع اللهُ على قلوبهم"، بناء على أن المراد من ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ عين المراد من ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾[1]، وهم كفار مكة[2].

وإنما عدل عن الضمير الغائب إلى الاسم الموصول؛ لنعيهم بعدم علمهم أي جهلهم وعدم إيمانهم وإيقانهم.

قال الآلوسي: ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ يحتمل أن يكون ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾، فيكون قد وضع الموصول موضع ضميرهم؛ للنعي بما في حيز الصلة، ويحتمل أن يكون عاماً ويدخل فيه أولئك دخولاً أولياً[3].

****

([1]) السورة السابقة الآية ٥٨، وتمامها: ﴿وَلَقَد ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖۚ وَلَئِن جِئۡتَهُم بِـَٔايَةٖ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُبۡطِلُونَ﴾.

([2]) والقول بأن المراد بالموصول هم كفار مكة- ذهب إليه بعض المفسرين كالسمرقندي والإيجي وغيرهما. بينما ذهب البعض الآخر كالطيبي وغيرِه إلى أن الموصول يحتمل أن يكون عاماً. بحر العلوم للسمرقندي ١٧/٣. وفتوح الغيب للطيبي ٢٧٦/١٢. وجامع البيان للإيجي ٣٠٨/٣.

([3]) روح المعاني ٦٢/٢١.

المبحث الثاني

الدراسة التطبيقية لوضع الموصول موضع الضمير تعليلا في القرآن الكريم

تمهيد

لمحة عن التعليل

أولا: تعريف التعليل:

هو ذكر الشيء معلَّلا[1]، وهذا الغرض له أساليبُه وعباراته عند المفسرين، منها: التنبيه على علة الحكم، أو الإشعار أو الإيذان بعلية ما في حيز الصلة، أو الإيماء إلى وجه أو علة بناء الخبر على الصلة، وكلها تفيد أن المقام إذا كان يقتضي الإضمار ثم عُدل عنه إلى الموصول- فإن القارئ يتساءل عن سبب ذلك وعلته.

ثانيا: بلاغة التعليل:

وذكر الشيء معلَّلاً أبلغُ من ذكره بلا علة، وهذا؛ لوجهين[2]:

١- أن النفوس غالباً تنبعث إلى قبول الأحكام المعلَّلة بخلاف غيرها.

٢- أن العلة المنصوص عليها قاضية بعموم المعلول أو الحكم.

ثالثا: القرائن الدالة على علية الموصول:

من أشهر القرائن الدالة على علية الموصول:

١- أن يذكر مع الحكم وصف أو موصول مناسب لأن يكون علة لذلك الحكم، وكونُ الموصول وصلته علة- غيرُ منطوق به، لكن يسبق إلى الفهم من فحوى الكلام[3]، سواء كان الحكم:

---

(١) التعريفات للجرجاني صـ٦٣ بتصرف.

(٢) البرهان للزركشي ٣/٩١ بتصرف.

(٣) المستصفى للغزالي ٢/١٩٤ والبرهان للزركشي ٣/٩١ بتصرف.

-بعد الموصول وصلته، ومثال ذلك قولُه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾[1].

أي أن سبب إلحاق الذرية بالآباء في نعيم الجنة- هو إيمانُهم وكونُ الذريات آمنوا بسبب إيمان آبائهم؛ لأن الآباء المؤمنين يلقنون أبناءهم الإيمان[2].

- أو قبل الموصول وصلته، ومثاله قوله تعالى: ﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ﴾[3].

أي أخذتهم الصيحة؛ لأنهم ظلموا أنفسهم بالشرك، والناسَ بنقص المكيال والميزان، ومنع الناس حقوقهم وبخسِهم حظوظَهم[4].

٢- وقوع الاسم الموصول خارجاً مخرج المدح أو الذم أو الترغيب أو الترهيب أو التعظيم، فجميع ذلك يُفْهَمُ منه التعليل من غير نطق به، وهذا قد يسمى إيماء أو إشارة[5]:

- مدح المتقين[6]، ومثاله قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ قَالُواْ خَيۡرٗاۗ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۚ﴾[7].

---

(1) سورة الطور ٥٢ من الآية ٢١.

(2) التحرير والتنوير ٤٨/٢٧.

(3) سورة هود ١١ من الآية ٩٤.

(4) ينظر زهرة التفاسير ٣٧٤٥/٧ . وإرشاد العقل السليم لأبي السعود ٨٧/٣. وروح المعاني للآلوسي ١٢٩/١٢. بتصرف.

(5) المستصفى للغزالي ١٩٥/٢ بتصرف.

(6) نظم الدرر للبقاعي ١٤٧/١١ بتصرف.

(7) سورة النحل ١٦ من الآية ٣٠.

أي: جزاؤهم حسنة؛ لأنهم أحسنوا.

- ذم الكافرين[1]، ومثاله قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ﴾ **الآية[2].**

أي أن كفرهم هو السبب في هذا القول.

- الترغيب والبشارة[3]، ومثاله قولُه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ﴾[4].

أي أن سبب هذا الجزاء الحسن هو أنهم آمنوا وعملوا الصالحات .

- الترهيب عن المخالفة[5]، ومثاله قوله تعالى: ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾[6].

أي احكم بما يؤيده القرآن؛ لأنه الكتاب الذي أنزله الله عليك.

- التعظيم والتهويل[7]، ومثاله قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَوۡهُ زُلۡفَةً سِيٓـَٔتۡ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾[8].

أي أن كفرهم السبب الذي استحقوا به ذلك العذاب.

---

(1) إرشاد العقل السليم لأبي السعود ١٥٧/٤ . وروح المعاني للآلوسي ٢٣٤/١٨. بتصرف.

(2) سورة الفرقان ٢٥ من الآية ٤.

(3) التحرير والتنوير لابن عاشور ٢١١/٢٠، ٢١٢ بتصرف.

(4) سورة العنكبوت ٢٩ من الآية ٧.

(5) روح المعاني للآلوسي ١٥٢/٦ بتصرف.

(6) سورة المائدة ٥ من الآية ٤٨.

(7) تفسير ابن عرفة ٢٦٦/٤ بتصرف.

(8) سورة الملك ٦٧ من الآية ٢٧.

سورة البقرة

وفيها سبعة مواضع، وهي:

١- وضع "الذين ظلموا" موضع واو الفاعل في قوله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلاً غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ﴾[١].

ومقتضى السياق أن يقال: "فبدلوا قولاً[٢]" إلخ تبعا لأسلوب قوله ﷻ: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾[٣]، وإنما عدل عن الضمير إلى الموصول؛ لغرضين:

أولهما: الإشعار بالعلية[٤]، وهو الأشهر: قال الشيخ أبو زهرة: وذكر اللهُ اللهُ تعالى الموصولَ فقال: ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ فأظهر في موضع الإضمار؛ للإشارة إلى أن الدافع لهم على التغيير والتبديل في أمر الله تعالى أو نهيِه- هو ظلمهم وإلحادُهم في دين الله تعالى[٥].

أي فبدلوا بسبب ظلمهم.

---

(١) سورة البقرة ٢ من الآية ٥٩.

(٢) روح البيان لحقي ١١٤/١ بتصرف يسير.

(٣) سورة البقرة ٢ من الآية ٥٧.

(٤) وقد ذهب إلى هذا الغرض البلاغي: أبو حيان في البحر المحيط ٣٨٦/١. والزركشي والزركشي في البرهان ٤٩٢/٢. وابن عرفة في تفسيره ١١٧/١. والسيوطي في الإتقان ١٦٧٦. والآلوسي في روح المعاني ٢٢٦/١. ومحمد الأمين حدائق في الروح والريحان ٤٢٦/١. بتصرف.

(٥) زهرة التفاسير ٢٤٤/١.

ثانيهما: إفادة الذم[1]، قال ابن جُزَي: ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ يعني المذكورين، وضع الظاهر موضع المضمر؛ لقصد ذمهم بالظلم [2].

٢- وضع "الذين ظلموا" موضع الضمير "هم" في قوله تعالى: ﴿فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾[3].

ولم يقل: "فأنزلنا عليهم" إلخ على سبيل الاختصار وقد سبق ذكر ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ في الآية؛ لخمسة أغراض بلاغية مرتبة حسب الأشهر، فالأغراض تتلاقى ولا تتعارض:

أولها: الإشعار بعلة الحكم أي: إنزال الرجز عليهم؛ لظلمهم المسبَّب عن فسقهم[4].

---

(1) وذهب إلى هذا الغرض البلاغي: السمين في الدر المصون ٣٧٩/١. وابن عادل في اللباب ١٠٠/٢.

(2) التسهيل لابن جزي ٦٨/١.

(3) سورة البقرة ٢ من الآية ٥٩.

(4) ذهب إلى هذا الغرض أكثر المفسرين ومنهم: الزمخشري في الكشاف ٢٧٣/١، ٢٧٤. والرازي في مفاتيح الغيب ٩٧/٣. والبيضاوي في أنوار التنزيل ٨٢/١. والنسفي في مدارك التنزيل ٩٢/١. والطيبي في فتوح الغيب ٤٩٩/٢. وأبو حيان في البحر المحيط ٣٨٧/١. وأبو السعود في إرشاد العقل السليم ١٧٩/١. والشهاب الخفاجي في عناية القاضي ١٦٥/٢. والآلوسي في روح المعاني ٢٦٧/١.

ثانيها: زيادة التقبيح لحالهم وفعلهم[1]. قال الزمخشري: وفي تكرير ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ زيادةٌ في تقبيح أمرهم، وإيذانٌ بأن إنزال الرجز عليهم؛ لظلمهم، وقد جاء في سورة الأعراف: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ﴾[2] على الإضمار[3].

ثالثها: تعظيم وتهويل الأمر عليهم[4].

رابعها: الاحتراس[5] من إيهام كون الرجز كان عاما[6]. قال ابن عاشور: وإنما جاء بالظاهر في موضع المضمر في قوله: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ

([1]) ذهب إلى هذا الغرض البلاغي غير واحد من المفسرين منهم: الزمخشري في الكشاف ٢٧٣/١، ٢٧٤. والبيضاوي في أنوار التنزيل ٨٢/١. وابن جزي في التسهيل ٦٨/١. والجلال المحلي في الجلالَين صـ١٣. وأبو السعود في إرشاد العقل السليم ١٧٩/١. والآلوسي في روح المعاني ٢٦٧/١.

([2]) سورة الأعراف ٧ من الآية ١٦٢، وتمامها: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ﴾.

([3]) الكشاف ٢٧٣/١، ٢٧٤.

([4]) ذهب إلى هذا الغرض البلاغي: القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٤١٦/١. والشوكاني في فتح القدير ١٩٨/١. والقنوجي في فتح البيان ١٧٨/١.

([5]) الاحتراس هو: أن يُؤْتَى في كلام يوهم خلاف المقصود- بما يدفعه، كقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، فإنه لو اقتصر على وصفهم بالذلة على المؤمنين- لتوهم أن ذلتهم؛ لضعفهم، فلما قيل: ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ علم أنها منهم تواضع لهم، ولهذا عدي الذل بـ"على" لتضمينه معنى العطف. الإيضاح للخطيب القزويني صـ١٥٧.

([6]) ذهب إلى هذا الغرض البلاغي: صاحب تفسير المنار ٥٢٣/١. وابن عاشور في التحرير والتنوير ٥١٦/١.

ظَلَمُوا۟ رِجْزًا ﴾، ولم يقل: عليهم؛ لئلا يتوهم أن الرجز عَمَّ جميع بني إسرائيل[١].

خامسها: التصريح بأنهم بما فعلوا قد ظلموا أنفسَهم بتعريضها لغضب الجبار سبحانه. قال أبو السعود: ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ إلخ وإنما وُضِعَ الموصولُ موضعَ الضَّميرِ العائد إلى الموصول الأول؛ للتعليل؛ والمبالغةِ في الذم والتقريع؛ وللتصريح بأنهم بما فعلوا قد ظلموا أنفسَهم بتعريضها لسخط الله تعالى[٢].

٣- وضع "الذين كفروا" موضع واو الفاعل في قوله تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۚ﴾[٣].

ومقتضى السياق أن يكون: "ما يودون" وقد سبق ذكر الكافرين في قوله: ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[٤]. وإنما عدل عن الضمير إلى الموصول؛ للإشعار بأن كفرهم سببُ كراهيتهم وعدم ودهم أن يُنَزَّل على النبي ﷺ وأمته أيُّ خير، كما يرى أبو السعود فقال: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ إلخ ووضعُ الموصولِ موضعَ الضميرِ؛ للإشعار بعلية مَا في حيزِ الصلةِ لعدم وُدِّهم[٥].

---

(١) التحرير والتنوير ١/٥١٦.
(٢) إرشاد العقل السليم ١/١٧٩.
(٣) سورة البقرة ٢ من الآية ١٠٥.
(٤) السورة السابقة من الآية ١٠٤.
(٥) إرشاد العقل السليم ١/٢٣٢.

ويصح أن تشتمل الآية على أغراض بلاغية أخرى من أغراض وضع الموصول موضع الضمير، قال الطيبي: وفي إيقاع الكفر صلةً للموصول وبيانِه بقوله: ﴿مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ وإقامةِ المظهر موضع المضمر- إشعارٌ بأن كتابهم يدعوهم إلى متابعة الحق، إلا أن كفرهم يمنعهم. وفيه أن الكفر شرٌ كله؛ لأنه الذي يورث الحسد ويحمل صاحبه على أن يبغض الخير ولا يحبه، كما أن الإيمان خير كله؛ لأنه يحمل صاحبه على تفويض الأمور كلها إلى الله تعالى[1].

٤- وضع "الذين آتيناهم" موضع الضمير "هم" في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۘ﴾[2].

وأصل الآية: "هم يعرفونه" فقد سبق التصريح بذكر أهل الكتاب في قوله ﷻ: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ ...وَلَئِنۡ أَتَيۡتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٖ مَّا تَبِعُواْ قِبۡلَتَكَ﴾[3].

قال أبو السعود: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ أي علماءهم إلخ، ووضع الموصول موضعَ المضمرِ مع قرب العهد؛ للإشعار بعلية مَا في حيزِ الصِّلةِ للحكم[4].

---

(1) فتوح الغيب ٢٩/٣، ٣٠ بتصرف. وينظر روح المعاني للآلوسي ٣٥٠/١. والتحرير والتنوير لابن عاشور ٦٥٣/١.

(2) سورة البقرة ٢ من الآية ١٤٦.

(3) السورة السابقة من الآية ١٤٤، ١٤٥.

(4) إرشاد العقل السليم ٢٨٢/١. وينظر روح المعاني للآلوسي ١٢/٢.

أي للإيذان بأن إيتاءهم العلم بالكتاب- التوراة والإنجيل- هو سبب معرفتهم بالنبي ﷺ؛ لاشتمالهما على أوصافه ﷺ، قال أبو السعود: ليس معرفتهم له ﷺ من حيثُ ذاتُه ونسبُه الزاهرُ، بل من حيث كونُه مسطوراً في الكتاب منعوتاً فيه بالنعوت التي من جملتها أنه ﷺ يصلي إلى القبلتين، كأنه قيل: الذين آتيناهم الكتابَ يعرِفون مَنْ وصفناه فيه[1].

٥- **وضع "الذين ظلموا" موضع واو الفاعل في قوله تعالى**: ﴿وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ﴾[2].

و﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ هم الذين اتخذوا الأنداد، وكان الظاهر بمقتضى تقدم ذكرهم أن يقال: "ولو يرون إذ يرون"، ولكن وضع الموصول موضع الضمير؛ لثلاثة أغراض بلاغية:

أولها وثانيها: ليحضر في ذهن السامع أنهم صاروا باتخاذهم الأنداد من الظالمين؛ وليشعر بأن سبب رؤيتهم العذاب الشديد هو ذلك الظلم العظيم.

([1]) إرشاد العقل السليم ٢٨٢/١. وينظر روح المعاني للآلوسي ١٢/٢.

([2]) سورة البقرة ٢ من الآية ١٦٥، وتمامها: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ﴾.

قال الآلوسي: ووضع الظاهر موضع المضمر؛ للدلالة على أن ذلك الاتخاذ ظلم عظيم، وأن اتصاف المتخذين به أمر معلوم مشهور حيث عبر عنه بمطلق الظلم، والموصول والصلة للإشعار بسبب رؤيتهم العذاب(١).

وبهذا يتحقق في الآية غرضان: الدلالة على أن اتخاذ الأنداد ظلم عظيم، والإشعار بالعِلّية، غير أن الثاني هو الأشهر.

ثالثها: إفادة التعميم؛ ليكون شاملاً لهؤلاء المشركين وغيرهم، قال البقاعي: أظهر- أي الضمير- لأجل تعميم الوصف الذي استحقوا به ما يُذْكَرُ، وهو وضعهم الشيء في غير محله إلخ، وذلك هنا تسويتهم مَنْ لا يملك شيئاً أصلاً بمن يملك كل شيء(٢).

٦- وضع "الذين كفروا" موضع الضمير "هم" في قوله ﷻ: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾(٣).

والمراد بـ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ **هو عين المراد من الضمير الغائب في قوله ﷻ:** ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾(٤)**، وهم كفار العرب ومشركو قريش في قول(٥).**

---

(١) روح المعاني ٣٥/٢. وينظر فتوح الغيب للطيبي ١٨٤/٣. وحدائق الروح والريحان لمحمد الأمين ٩١/٣. وزهرة التفاسير لأبي زهرة ٤٩٤/١. والتفسير الوسيط د سيد طنطاوي ٣٣٨/١.

(٢) نظم الدرر ٣٠٥/٢ بتصرف. وينظر التحرير والتنوير لابن عاشور ٩٣/٢.

(٣) سورة البقرة ٢ من الآية ١٧١.

(٤) السورة السابقة من الآية ١٧٠.

(٥) والمراد بالضمير الغائب "لهم" في قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ الآية- محل خلاف بين المفسرين على ثلاثة أقوال: الأول: المشركون، واختاره أبو حيان وغيرُه ==

وعليه فـ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ من قبيل وضع الموصول موضع الضمير الغائب، ومقتضى الأصل أن يقال في غير القرآن: "ومثلهم كمثل الذي ينعق" جرياً على أسلوب الضمائر قبله.

فخولف مقتضى الأصل؛ للإشعار بعِلّة الحُكم، أي أن كفرهم هو علة الحكم عليهم، من تشبيه الكفار بالبهائم التي تسمع صوت المنادي من غير أن تفقه كلامه وتفهم مراده.

قال أبو السعود: ووضْعُ الموصولِ موضعَ الضميرِ الراجع إلى ما يرجع إليه الضمائر السابقةُ؛ لذمِّهم بما في حيزِ الصلة؛ وللإشعار بعِلّة ما أثبت لهم من الحُكم(١).

وبهذا يتحقق في الآية غرضان بلاغيان: الأول: ذمهم بالكفر، والثاني: الإشعار بالعلية.

والتقدير: مثل داعي الذين كفروا إلى الإيمان ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ﴾ أي: يصيح ﴿بِمَا لَا يَسْمَعُ﴾ وهي البهائم التي لا تسمع ﴿إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾، ولا يعقل معنى، أو التقدير: مثل الذين كفروا كمثل مدعوّ الذي ينعق، ويكون ﴿دُعَآءً

==

وصدر به كلامه، وتكون الآية متصلة بما قبلها وهو قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا﴾ الآية أي يعبدون الأصنام. والثاني: اليهود والآية مستأنفة، واختاره الطبري. والثالث: عموم الكفرة، واختاره الطيبي. ينظر جامع البيان للطبري ٣١٣/٣. ومعالم التنزيل للبغوي ١٨١/١. وفتوح الغيب للطيبي ١٩٢/٣. والبحر المحيط لأبي حيان ٦٥٥/١.

(١) إرشاد العقل السليم ٣٠١/١، ٣٠٢.

وَنِدَآءً﴾ على التقديرين مفعولا: ﴿يَسۡمَعُ﴾، والنعيق: هو زجر الغنم والصياح عليها، فعلى هذا شبه الكفار بالغنم وداعيهم بالذي يزجرها وهو يصيح عليها[1].

وعلى التقدير الثاني يصح وضع الموصول موضع الضمير، وقد أشار إلى هذا الطيبي وغيرُه[2].

ويصح أن تشتمل الآية على غرض بلاغي ثالث هو التمكن بالموصول من إجراء الصفة، أي وصفهم بالكفر من خلال الموصول؛ لأن الضمير لا يوصَفُ به.

قال الآلوسي: ووضع المظهر- وهو الموصول- موضع المضمر- وهو ضمير البهائم- ليتمكن من إجراء الصفة التي هي وجه الشبه عليه[3].

٧- وضع "الذين يبدلونه" موضع الضمير "هم" في قوله تعالى: ﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعۡدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ﴾[4].

ومقتضى السياق أن يقول: "فإنما إثمه عليه أو عليهم"؛ جرياً على سياق الضمائر في الآية، ولكن عدل عن الضمير إلى الموصول؛ لثلاثة أغراض:

---

(1) ينظر التسهيل لابن جزي ٩٣/١، ٩٤ بتصرف. وإرشاد العقل السليم لأبي السعود ٣٠١/١، ٣٠٢.

(2) ينظر فتوح الغيب ١٩٤/٣.

(3) روح المعاني ٤١/٢.

(4) سورة البقرة ٢ من الآية ١٨٢.

أولها وأشهرها: الإشعار بالعلية، أي حصول الإثم بسبب التبديل.

قال أبو حيان: وأتي في جملة الجواب بالظاهر مكان المضمر؛ ليُشْعِرَ بعِلّية الإثم الحاصل وهو التبديل(١).

ثانيها: التأكيد على الإشعار بالعلية، قال أبو السعود: ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥ﴾؛ لأنهم خانوا وخالفوا حكمَ الشرعِ، ووضْعُ الموصولِ في موضع الضميرِ الراجعِ إلى "مَنْ"؛ لتأكيد الإيذان بعِلّية مَا في حَيِّزِ الصِّلةِ الأولى(٢).

وما في حيز صلة "مَنْ" التبديلُ، وأعاده في الصلة الثانية؛ ليؤكد على عليته للإثم.

ثالثها: الإشارة إلى أن جريمتهم بالتبديل، وإلى استحقاق الإثم عليها، وهذا غرض يصح أن تشتمل عليه الآية الكريمة.

****

(١) البحر المحيط ٢٦/٢. وينظر تفسير الجلالين صـ٣٧. والسراج المنير للشربيني ١١٧/١. وروح المعاني للآلوسي ٥٥/٢.

(٢) إرشاد العقل السليم ٣١٢/١.

سورة النساء

وفيها موضعان، وهما:

١- وضع "الذين كفروا" موضع واو الفاعل في قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ﴾[١].

المقام مقام إضمار بأن يقال: "يودون لو تسوى بهم الأرض" على أن المراد بالموصول كفار قريش المكذبون لرسول الله ﷺ في قول[٢].

قال أبو السعود: والتعبير عنهم بالموصول لاسيما بعد الإشارة إليهم بـ ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾[٣]؛ لذمِّهم بما في حيزِ الصلةِ وهو الكفر والعصيان؛ وللإشعارِ بعلة ما اعتراهم من الحال الفظيعةِ والأمرِ الهائلِ[٤].

---

(١) سورة النساء ٤ من الآية ٤٢، وتمامها: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾.

(٢) والمراد بالموصول إما كفار قريش المكذبون لرسول الله ﷺ، وتكون الآية جواب ﴿فَكَيْفَ﴾ في الآية قبلها، وإما المراد جنس الكفرة، والآية استئناف لبيان حال الكافرين، ويدخل أولئك المكذبون في زمرتهم دخولاً أولياً والمراد من الرسول الجنس أيضاً، ويزيد شرفَه انتظامُه للنبي ﷺ انتظاماً أولياً. إرشاد العقل السليم لأبي السعود ٦٩٨/١. ومحاسن التأويل للقاسمي ١١٠/٥. بتصرف.

(٣) سورة النساء ٤ من الآية ٤١، وتمامها: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾.

(٤) إرشاد العقل السليم ٦٩٨/١ بتصرف. وينظر وروح المعاني للآلوسي ٣٤/٥.

أي أن الكفر والعصيان هو سبب ما يرون من أهوال الموقف وما يحل بهم من الخزي والفضيحة والتوبيخ.

وبهذا يتحقق في الآية غرضان بلاغيان: الأول: الذم، والثاني: التعليل.

٢- وضع "الذين يستنبطونه" موضع واو الفاعل في قوله: ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ﴾[١].

ومقتضى الظاهر من السياق أن يكون التعبير: "لعلموه" بناء على أن المراد بالموصول النبي ﷺ وكبار صحابته ﷺ، وهو أقرب مذكور[٢].

---

(١) سورة النساء ٤ من الآية ٨٣، وتمامها: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾.

(٢) اختلف المفسرون في المراد بـ ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ﴾ على ثلاثة أقوال: الأول: أنهم المنافقون المذيعون؛ تبعا لعود الضمير في ﴿جَآءَهُمۡ﴾، واختاره الشربيني وغيرُه، ونسبه ابن عطية وغيرُه للجمهور؛ لأنه الملائم للسياق، ولا يعكر عليه إلا قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ﴾ فكيف جعل أولي الأمر من المنافقين؟ والجواب: إنما جَعَل أولي الأمر منهم على حَسَب الظَّاهِر؛ لأن المُنَافِقين يُظْهِرُون الإيمان. والمعنى: لو أن المنافقين المذيعين للأخبار ردوا أمر الأمن والخوف إلى الرسول وإلى أولى الأمر، وطلبوا معرفة الحال فيه من جهتهم، لعلمه الذين يستنبطونه أي يبحثون عنه وهم هؤلاء المنافقون المذيعون مِنْهُمْ أي: من جانب الرسول ومن جانب أولى الأمر. والقول الثاني: أنهم أولو الأمر وهم العلماء، واختاره البغوي وغيره، والمعنى: ولو أن هؤلاء المنافقين ردوا إلى الرسول وإلى أولى الأمر لكان علمه حاصلا عند من يستنبط هذه الوقائع من أولى الأمر. ==

قال الطيبي: ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ﴾: الضَّعَفَة، أو المراد بهم الرسول ﷺ وكبراء الصحابة، فيكون من وضع المظهر موضع المضمر؛ للإشعار بالعِلِّيَّة(١).

أي علمه الرسول وكبار صحابته؛ لأنهم أهل للاستنباط والاجتهاد واستخراج المعاني العميقة.

ويصح أن تشتمل الآية على أغراض بلاغية أخرى:

أولها: الاستكشاف والاستيضاح: بناء على أن المراد بالموصول ضَعَفَةُ المسلمين، قال أبو السعود: ﴿لَعَلِمَه﴾ أي: لعلم الرادُّون معناه وتدبيرَه، وإنَّما وُضِعَ موضعَ ضميرِهم- الموصولُ فقيل: ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ﴾؛ للإيذان بأنه ينبغي أن يكون قصدهم برده إليهم استكشافَ معناه واستيضاحَ فحواه إلخ (٢).

==

والقول الثالث: أنهم ضَعَفة المسلمين؛ تبعا لعود الضمير في ﴿جَآءَهُمۡ﴾، واختاره البيضاوي وغيرُه، وهو المناسب لقوله: ﴿وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ﴾ بحسب الظاهر.

والمعنى: لو أن ضعفة المسلمين سكتوا ولم يذيعوا الأمر وردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر- لعلم هؤلاء المذيعون هل هو مما يذاع أو لا يذاع؟ معالم التنزيل للبغوي ٢٥٥/٢. والمحرر الوجيز لابن عطية ٨٥/٢. ومفاتيح الغيب للرازي ٢٠٥/١٠. وأنوار التنزيل للبيضاوي ٨٧/٢. والسراج المنير للشربيني ٣١٩/١. بتصرف.

(١) فتوح الغيب ٨٨/٥.

(٢) إرشاد العقل السليم ٧٤٥/١. وينظر التفسير المظهري ١٧٠/٢. وروح المعاني للآلوسي ٩٤/٥، ٩٥ .

أي ينبغي أن يكون القصد برد الأمر إلى الرسول وأولى الأمر- استكشافَ المعنى واستيضاحَ الفحوى.

ثانيها: زيادة التقرير: بناء على أن المراد بالموصول المنافقون المذيعون، قال القاسمي: وإنما وضع الموصولُ موضع الضمير، يعني لم يقل: "لعلموه"؛ لزيادة تقرير الغرض المسوق له الكلام؛ أو لذمهم؛ أو للتنبيه على خطئهم في الفحص عن استخراج وإظهار خفيّ ذلك الأمر(١).

وبذلك يتحقق في الآية غرضان آخران إضافة إلى زيادة التقرير، هما: الذم، والتنبيه على الخطأ.

****

سورة المائدة

وفيها أربعة مواضع، وهي:

١- وضع "ما أَنْزل" موضع هاء الغائب في قوله تعالى: ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾(٢).

---

(١) محاسن التأويل صـ١٤١٢. وينظر التفسير الوسيط د/سيد طنطاوي ٢٣٦/٣، وعبارته: في الكلام إظهار في مقام الإضمار، حيث قال- سبحانه-: ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ﴾، ولم يقل: "لعلموه منهم"، وذلك؛ لزيادة تقرير الغرض المسوق له الكلام؛ وللمبالغة في ذمهم على بحثهم وراء الأخبار الخفية الهامة واستنباطها وتطلبها ثم إذاعتها بقصد الإضرار بمصلحة المسلمين.

(٢) سورة المائدة ٥ من الآية ٤٨.

وأصل السياق أن يقول: "فاحكم بينهم[1] به" أي بالقرآن العظيم[2]، فقد سبق في الآية الحديث عنه حيث قوله ﷻ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾[3].

قال أبو السعود: ووضع الموصول موضعَ الضمير؛ للتنبيه على عِليَّةِ ما في حيز الصلة للحكم[4].

أي التزِمْ في حكمك بين أهل الكتاب أو الناس بما يؤيده القرآن؛ لأنه الكتاب الذي أنزله الله عليك.

قال أبو حيان: ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ ظاهره أنه أمر أن يحكم بما أنزل الله، على قول من قال: إنها ناسخة لقوله: ﴿أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾[5]، أو

---

(1) واختلف في عود الضمير "هم" على ثلاثة أقوال: الأول: اليهود، والثاني: أهل الكتاب، والثالث: الناس عموماً، وذهب إلى الأول- الواحدي في التفسير الوسيط ١٩٥/٢، وابن الجوزي في زاد المسير ٣٧١/٢، وغيرهما. وذهب إلى الثاني- البغوي في معالم التنزيل ٦٦/٣، والشربيني في السراج المنير ٣٧٨/١، وغيرهما، وذهب إلى الثالث- ابن كثير في تفسير القرآن العظيم ٣٦٨/٧، والبقاعي في نظم الدرر ١٨١/٦، وغيرهما.

(2) وعود الموصول الأول إلى القرآن العظيم- عليه المفسرون مثل: الطبري في جامع البيان ٣٨٢/١٠. والسمرقندي في بحر العلوم ٤٤١/١. وأبي حيان في البحر المحيط ٣١٥/٣. أما ابن عاشور في التحرير والتنوير ٢٢٢/٦ فيرى أن الموصول يحتمل القرآن أو التوراة والإنجيل، أي فاحكم بينهم بما أنزل الله في القرآن أو بما أنزل في التوراة والإنجيل ما لم يُنسَخْ بحكم جديد.

(3) سورة المائدة ٥ من الآية ٤٨.

(4) إرشاد العقل السليم ٩٨/٢. وينظر روح المعاني للآلوسي ١٥٢/٦. وزهرة التفاسير لأبي زهرة ٢٢٢٥/٤. والتفسير الوسيط د/سيد طنطاوي ١٨١/٤.

(5) سورة المائدة ٥ من الآية ٤٢، وتمامها: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾.

قول الجمهور: إن اخترت أن تحكم بينهم بما أنزل الله ، وهذان على قول من جعل الضمير في ﴿بَيْنَهُم﴾ عائداً على اليهود، ويكون على قول الجمهور أمر ندب، وإن كان الضمير للمتحاكمِين عموماً فالخطاب للوجوب ولا نسخ[1].

وأضاف الآلوسي غرضا بلاغيا ثانياً وهو الترهيب عن المخالفة[2]، أي عن مخالفة الحكم بما يؤيده القرآن الكريم.

٢- **وضع "ما جاءك" موضع هاء الغائب في قوله**: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾[3].

والمراد بالموصول هنا عين ما أُريدَ بالموصول الأول وهو القرآن العظيم[4]، ومقتضى المقام أن يقال: ولا تتبع أهواءهم عنه.

قال أبو السعود: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ الزائغة ﴿عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ الذي لا محيد عنه، و "عن" متعلقة بـ"لا تتَّبعْ" على تضمين معنى العُدول ونحوِه كأنه قيل: ولا تعدِلْ عما جاءك من الحق متبعاً أهواءهم، وقيل غير ذلك، ووضع الموصول موضع ضمير الموصول الأول؛ للإيماء بما في حيز

---

(1) البحر المحيط ٥١٣/٣ بتصرف.

(2) ينظر روح المعاني ١٥٢/٦.

(3) سورة المائدة ٥ من الآية ٤٨.

(4) والمراد بالموصول الثاني القرآن العظيم- وهذا ما عليه المفسرون السابقون مثل: الطبري في جامع البيان ٣٨٢/١٠. والسمرقندي في بحر العلوم ٤٤١/١. وأبي حيان في البحر المحيط ٣١٥/٣.

الصلة من مجيء الحق إلى ما يوجب كمالَ الاجتناب عن اتباع الأهواء[1].

لا تعدل عن القرآن العظيم؛ لأنه الذي جاءك من الحق.

٣- وضع "الذين في قلوبهم مرض" موضع الضمير "هم" في قوله تعالى: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَـٰرِعُونَ فِيهِمْ﴾[2].

والمراد بالموصول المنافقون الذين تولوا اليهود والنصارى[3]، ومقتضى المقام: فتراهم يسارعون فيهم أي في موالاتهم ومعاونتهم.

قال أبو السعود: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ بيان لكيفية توليهم وإشعارٌ بسببه وبما يؤول إليه أمرُهم، والفاء للإيذان بترتُّبه على عدم الهداية إلخ أي لا يهديهم بل يذرهم وشأنَهم فتراهم إلخ وإنما وُضع موضعَ الضميرِ

---

(١) إرشاد العقل السليم ٩٨/٢ بتصرف. وينظر روح المعاني للآلوسي ١٥٢/٦.

(٢) سورة المائدة ٥ من الآية ٥٢.

(٣) اختلف المفسرون في المراد بالموصول في الآية على أقوال مرجعها إلى قولين: الأول: أنهم المنافقون أمثال عبد الله بن أبي وأصحابه، والثاني: أنهم عبد الله بن أبي وأصحابه، ويدخل في الآية من كان من مؤمني الخزرج يتابعه جهالة وعصبية، وذهب إلى القول الأول– الرازي والبيضاوي وغيرهما، ونسبه ابن الجوزي إلى المفسرين، وذهب إلى القول الثاني ابن عطية وأبو حيان. زاد المسير لابن الجوزي ٣٧٨/٢. والمحرر الوجيز لابن عطية ٢٠٤/٢. ومفاتيح الغيب للرازي ١٨/١٢. وأنوار التنزيل للبيضاوي ١٣١/٢. والبحر المحيط لأبي حيان ٥٢٠/٣. بتصرف.

الموصولُ؛ ليُشارَ بما في حيز صلته إلى أن ما ارتكبوه من التولي بسبب ما في قلوبِهِم من مرض النفاق ورَخاوة العَقْد[١] في الدين[٢].

٤- وضع "الذين كفروا" موضع الضمير "هم" في قوله تعالى: ﴿لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٣].

ومقتضى الظاهر: "ليمسنهم عذاب أليم" بناء على أن المراد بالضمير عين المراد بالقائلين: "المسيح هو الله"، وأيضاً القائلين: "إن الله ثالث ثلاثة آلهة"[٤].

وإنما عدل عن الضمير إلى الموصول؛ لأن الموصول يشير إلى أن الصلة هي سبب الحكم، أي: أن الكفر هو علة العذاب.

قال صاحب المنار: أي فوالله ليصيبنهم بكفرهم عذابٌ شديد الألمِ في الآخرة، فوضع ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ موضع الضمير؛ ليثبت أن ذلك القولَ كفرٌ بالله، وأن الكفر سببُ العذاب الذي توعدهم به، ويبينَ أن هذا العذاب لا يمس إلا الذين كفروا منهم خاصة بالتثليث أو غيرِهِ- دون من تاب وأناب

---

(١) الرِّخْوُ بالراء المثلثة: الهَشّ من كل شَيْء. والعَقْد في الأصل: ربط الشيء بالشيء، ومنه عَقَد إزاره، وقد يستعمل مجازاً للمعاني كعَقَد القلب على الشيء إذا لم يزل عنه. المحكم لابن سيده ٢٩٥/٥ مادة: رخو. وتاج العروس للزبيدي ٣٩٨/٨، ٤٠٣ مادة: عقد. بتصرف. وهنا العَقْد في الدين: ما يقصد به الاعتقاد دون العمل كعقيدة وجود الله وبعثة الرسل.

(٢) إرشاد العقل السليم ٧٣/٢. وينظر روح المعاني للآلوسي ١٥٧/٦.

(٣) سورة المائدة ٥ من الآية ٧٣.

(٤) جامع البيان للطبري ٤٨٢/١٠ . وزاد المسير لابن الجوزي ٤٠٣/٢. بتصرف.

إلى الله تعالى؛ إذ ليس عذاب الآخرة كعذاب الأمم في الدنيا، يشترك فيه المذنبون وغيرهم[1].

وبهذا يتحقق في الآية غرضان آخران غير العلية، هما: الأول: أن القول بألوهية المسيح عليه السلام، أو التثليث- كفر. والثاني: أن العذاب المذكور يمس هؤلاء الكافرين، أما من تاب منهم فأولئك عنه مبعدون.

ويصح أن تشتمل الآية على غرض بلاغي آخر هو تكرير الشهادة بمضمون الصلة، قال الزمخشريُّ: فإن قلتَ: فهلَّا قيل: ليمسنهم عذابٌ أليم؟- قلتُ: في إقامة الظاهر مقامَ المضْمَرِ فائدةٌ، وهي تكريرُ الشهادة عليهم بالكُفْر [2].

****

([1]) تفسير المنار ٤٨٦/٦. وينظر جامع البيان للإيجي ٤٨٦/١. وعبارته: وضع الظاهر موضع الضمير؛ ليعلم أن ترتب العذاب لكفرهم. والتحرير والتنوير لابن عاشور ٢٨٤/٦. وزهرة التفاسير ٢٣٠٩/٥. والتفسير الوسيط لطنطاوي ٢٤٠/٤.

([2]) الكشاف ٢٧٦/٢. وينظر أنوار التنزيل للبيضاوي ١٣٨/٢. ومدارك التنزيل للنسفي ٢٧٦/١. والبحر المحيط لأبي حيان ٥٤٤/٣. والدر المصون للسمين ٣٧٦/٤. واللباب لابن عادل ٤٦١/٧. وغرائب القرآن للنيسابوري ٦٢٣/٢. وإرشاد العقل السليم لأبي السعود ١٠١/٢. وروح البيان لحقي ٤٢٣/٢. والتفسير المظهري ١٤٨/٣. وروح المعاني للآلوسي ٢٠٨/٦. وحدائق روح والريحان لمحمد الأمين ٤٤٤/٧.

سورة الأنعام

وفيها ستة مواضع، وهي:

١- وضع "الذين كفروا" موضع واو الفاعل في قوله تعالى: ﴿لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾[١].

مقتضى السياق أن يقال: "لقالوا إن هذا إلا سحر مبين" بناء على أنه معطوف على جملة ﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيۡدِيهِمۡ﴾، وأن المراد بالموصول كفار قريش[٢] كما في سابق آيات السورة.

ونظير ذلك قوله ﷻ: ﴿وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعۡرُجُونَ ۝ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا﴾[٣].

وإنما عدل عن الضمير إلى الموصول؛ لأن الصلة تؤذن بعلية قولهم، أي أن كفرهم هو علة قولهم.

قال الطيبي: قوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ مظهر وضع موضع المضمر؛ للعلية[٤].

---

(١) سورة الأنعام ٦ من الآية ٧.

(٢) واختلف في المراد بالموصول في الآية، فذهب جمهور المفسرين- كالواحدي وابن الجوزي- إلى أن المراد كفار قريش، وذكر الآلوسي أن البعض جوز أن يكون المراد به قوما معهودين من الكفرة. التفسير الوجيز للواحدي ٣٤٥/١. وزاد المسير لابن الجوزي ٧/٣. وروح المعاني للآلوسي ٩٦/٦. بتصرف.

(٣) سورة الحجر ١٥ من الآية ١٤، ١٥.

(٤) فتوح الغيب ٢٦/٦. وينظر عناية القاضي للشهاب الخفاجي ٢٢/٤. والتحرير والتنوير لابن عاشور ١٤٢/٧.

ويصح أن تشتمل الآية على ثلاثة أغراض بلاغية أخرى:

أولها: التنصيص على الاتصاف بما في حيز الصلة، قال أبو السعود: وإنما وضع الموصولُ موضع الضمير؛ للتنصيص على اتصافهم بما في حيز الصلة من الكفر الذي لا يخفى حسنُ موقعِه باعتبار مفهومه اللغوي[1] أيضاً[2].

ثانيها: الشهادة بالكفر، قال السمين: وأوقع الظاهر موقع المضمر في قوله ﴿لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾؛ شهادةً عليهم بالكفر[3].

ثالثها: تعليق الحكم بالوصف، والتنبيهُ على أن هناك من سكت وآمن، أي من قال قولهم فقد كفر، أما من سكت وآمن فلا يدخل معهم في الكفر، قال البقاعي: وأظهر ولم يضمر؛ تعليقاً للحكم بالوصف؛ وتنبيهاً على أن من الموجودين من يسكت ويؤمن ولو بعد ذلك فقال: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ [4].

٢- وضع "الذين كفروا" موضع واو الفاعل في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾[5].

([1]) كَفَرَ: الكاف والفاء والراء أصل صحيح يدل على معنى واحد، وهو الستر والتغطية. مقاييس اللغة لابن فارس ٩١١/٥، مادة: كفر.

([2]) إرشاد العقل السليم ١٧٣/٢. وينظر روح المعاني للآلوسي ٩٦/٧.

([3]) الدر المصون ٥٤٤/٤. وينظر اللباب لابن عادل ٣٧/٨. وحدائق الروح والريحان لمحمد الأمين ٢٢٤/٨.

([4]) نظم الدرر ٢٥/٧.

([5]) سورة الأنعام ٦ من الآية ٢٥.

ومقتضى سياق الآية الإضمارُ بأن يقال: يجادلونك يقولون إن هذا إلا أساطير الأولين.

ولكن عدل عن الضمير- واو الفاعل- إلى الموصول؛ لأربعة أغراض بلاغية:

أولها وثانيها- وهو أشهرها-: الذم، والتعليل: قال أبو السعود: وإنما وضع الموصولُ موضعَ الضمير؛ ذمًّا لهم بما في حيّز الصلةِ؛ وإشعاراً لعلة الحكم(١).

أي أن كفر المشركين (٢) بآيات القرآن هو سبب قولهم: ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾.

ثالثها: التسجيل بالكفر عليهم، قال صاحب حدائق الروح والريحان: وضع الظاهر موضع المضمر في قوله: ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾؛ لتسجيل الكفر عليهم(٣).

---

(١) إرشاد العقل السليم ١٨٨/٥. وينظر نظم الدرر للبقاعي ٨٤/٧، وعبارته: قال مُظْهِراً للوصف الذي أداهم إلى ذلك: ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي: غطوا لما هو ظاهر لعقولهم وهو معنى الطبع اهـ. وروح المعاني للآلوسي ١٢٦/٧.

(٢) المقصود بالمشركين كفار مكة . ينظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤٠٤/٦، ٤٠٥.

(٣) حدائق الروح والريحان لمحمد الأمين ٣٠١/٨. وينظر التحرير والتنوير لابن عاشور ١٨١/٧ وعبارته: وعدل عن الإضمار إلى الإظهار في قوله: ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾؛ لزيادة التسجيل عليهم بالكفر، وأنهم ما جاءوا طالبين الحق كما يدعون، ولكنهم قد دخلوا ==

رابعها: كما قال الطيبي: وضع ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ موضع الضمير؛ ليشعر بأن مجيئهم على تلك الحالة كفرٌ وعنادٌ، وقولهم كذب بحت[1].

٣- وضع "الذين كذبوا" موضع واو الفاعل في قوله تعالى: ﴿قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۗ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةً قَالُواْ يَٰحَسۡرَتَنَا﴾[2].

و﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ﴾ هم الذين تقدم ذكرهم وحُكِي قولهم: ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ﴾[3][4]، فكان مقتضى السياق الإضمار؛ تبعا لقوله: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾[5] وما بعده، بأن يقال: "قد خسروا"، وإنما عبر بالموصول بدل الضمير؛ لثلاثة أغراض بلاغية:

==

بالكفر وخرجوا به فيقولون: ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾، فهم قد عدلوا عن الجدل إلى المباهتة والمكابرة.

(١) فتوح الغيب ٥٨/٦.

(٢) سورة الأنعام ٦ من الآية ٣١.

(٣) السورة السابقة الآية ٢٩، وتمامها: ﴿وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ﴾.

(٤) ينظر إرشاد العقل السليم لأبي للسعود ١٩٣/٢. والتحرير والتنوير لابن عاشور ١٨٩/٧.

(٥) سورة الأنعام ٦ من الآية ٢٧.

أولها وأشهرها: الإشعار بالعلية، قال الآلوسي: وضع الموصول موضع الضمير؛ للإيذان بتسبب خسرانهم عما في حيز الصلة من التكذيب بلقاء الله تعالى والاستمرار عليه[1].

أي خسروا؛ لأنهم كذبوا بلقائه تعالى من قيام الساعة وما يترتب عليها من البعث وغيره.

ثانيها: قصد التعميم[2] والتنبيه على الخسر، قال البقاعي: وأظهر موضع الإضمار؛ تعميماً وتنبيهاً على ما أوجب لهم ذلك فقال: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ﴾[3] اهـ. أي أوجب الخسر لهؤلاء.

والمقصود بالتنبيه المخاطبُ؛ لأنه إذا جاء الكلام على خلاف السياق انتبه المخاطب.

---

(1) روح المعاني ١٣١/٧. وينظر إرشاد العقل السليم لأبي السعود ١٩٣/٢، ١٩٤. وتفسير المنار ٣٦٠/٧.

(2) التعميم: هو أن يكون المعنى الثاني أعمَّ وأشمل من المعنى الأول، كقول جرير:

إذا غَضِبَتْ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ .... وَجَدتَّ النَّاسَ كُلَّهُمُ غِضَابًا

أخذ أبو نواس هذا المعنى واستفادَ منه معنىً عامّاً شاملاً، فقال:

وَلَيْسَ عَلَى اللَّهِ بِمُسْتَنكَرٍ .... أنْ يَجْمَعَ العَالَمَ فِي وَاحِدِ

فالأول يختص ببعض العالم وهم الناس، وهذا يشملهم وغيرهم؛ لأن العالم ما سوى الله تعالى. الإيضاح للقزويني صـ٣١١. وشروح التلخيص ٤٩٩/٤، ٥٠٠. بتصرف.

(3) نظم الدرر ٩٠/٧.

ثالثها: إفادة الاستقلال والتمهيد للتفصيل، قال ابن عاشور: عدل إلى الإظهار؛ ليكون الكلام مستقلا؛ وليُبْنَى عليه ما في الصلة من تفصيل بقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةً﴾[1] **إلخ**[2].

٤- وضع "الذين أجرموا" موضع الضمير "هم" في قوله تعالى: ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾[3].

و﴿ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ﴾ هم المرادون في قوله: ﴿أَكَٰبِرَ مُجۡرِمِيهَا﴾[4] **في الآية السابقة**[5]**، فكان مقتضى المقام الإضمار تبعا لقوله:** ﴿وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ

---

(1) سورة الأنعام ٦ من الآية ٣١، وتمامها: ﴿قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةً قَالُواْ يَٰحَسۡرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا فِيهَا وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾.

(2) التحرير والتنوير ١٨٩/٧.

(3) سورة الأنعام ٦ من الآية ١٢٤.

(4) السورة السابقة من الآية ١٢٣، وتمامها: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجۡرِمِيهَا لِيَمۡكُرُواْ فِيهَاۖ وَمَا يَمۡكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾.

(5) ينظر فتوح الغيب للطيبي ٢٣٧/٦.

قَالُوا﴾[1]، بأن يقال: سيصيبهم صغار، وإنما عبر بالموصول؛ لأربعة أغراض:

أولها: الإشعار بالعِلية وهو الأشهر: قال أبو السعود: وضعُ الموصولِ موضعَ الضميرِ؛ للإشعار بأن إصابةَ ما يصيبهم؛ لإجرامهم المستتبِعِ لجميع الشرورِ والقبائحِ[2] اهـ. أي إنما أصابهم ذل وصغار؛ لإجرامهم واستكبارهم.

ثانيها: قصد التعميم لكل من اتصف بالوصف: قال البقاعي: وأظهر موضع الإضمار؛ تعميماً وتعليقاً للحكم بالوصف فقال: ﴿ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُوا﴾[3].

ثالثها: مزيد التشنيع: ارتضاه الآلوسي حيث صدر به كلامه بصيغة الجزم، فقال: وضع الموصول موضع الضمير؛ لمزيد التشنيع، وقيل: إشعارا بعلية مضمون الصلة[4].

([1]) سورة الأنعام ٦ من الآية ١٢٤، وتمامها: ﴿وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا كَانُواْ يَمۡكُرُونَ﴾.

([2]) إرشاد العقل السليم ٢٨١/٢. وينظر فتوح الغيب للطيبي ٢٣٨/٦. وروح المعاني للآلوسي ٢٢/٨ حيث ذكر الغرض المذكور مصدرا إياه بصيغة "قيل" التي من صيغ التضعيف. وزهرة التفاسير لأبي زهرة ٢٦٥٩/٥. والتحرير والتنوير لابن عاشور ٥٥/٨، ٥٦.

([3]) نظم الدرر ٢٥٨/٧.

([4]) روح المعاني للآلوسي ٢٢/٨.

رابعها: تسجيل الإجرام عليهم، وأنهم كانوا فيما يمكرون مجرمين، ولم يكونوا أشرافا كراما، كما هو شأن الأكابر الذين يستعلون بأنسابهم[١].

٥- وضع "الذين لا يؤمنون" موضع الضمير "هم" في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾[٢].

والمقام للإضمار بأن يقال في غير القرآن: "يجعل الله الرجس عليهم" تبعا لسياق الآية.

قال أبو السعود: وضع الموصول موضعَ المضمرِ؛ للإشعار بأن جعلَه تعالى معلَّلٌ بما في حيز الصلة من كمال نبُوِّهم عن الإيمان وإصرارِهم على الكفر[٣].

أي يجعل الله عليهم العذابَ أو الخذلان، أو اللعنة في الدنيا[٤]؛ لأنهم لم يؤمنوا.

---

(١) ينظر زهرة التفاسير ٢٦٥٩/٥.

(٢) سورة الأنعام ٦ من الآية ١٢٥.

(٣) إرشاد العقل السليم ٢٨٢/٢. وينظر أنوار التنزيل للبيضاوي ١٨١/٢. وحاشية ابن تمجيد على البيضاوي ٢٦٠/٨. وحاشية زاده على البيضاوي ٢٠٧/٢. وروح البيان لحقي ١٠١/٣. والبحر المديد لابن عجيبة ١٦٨/٢. والتفسير المظهري ٢٨٧/٣. وروح المعاني للآلوسي ٢٣/٨.

(٤) ينظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٨٣/٧. وإرشاد العقل السليم لأبي السعود ٢٨٢/٢.

٦- وضع "مَنْ كَذَّبَ" موضع كاف الخطاب في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۚ﴾[١].

مقتضى ظاهر السياق الإضمار بأن: "فمن أظلم منكم" على سبيل الخطاب.

قال أبو السعود: وُضع الموصولُ موضعَ ضميرِهم بطريق الالتفات[٢]؛ تنصيصاً على اتصافهم بما في حيز الصلة؛ وإشعاراً بعلة الحكم؛ وإسقاطاً لهم عن رتبة الخطابِ[٣].

وبهذا يتحقق في الآية ثلاثة أغراض بلاغية: التعليلُ، والتنصيصُ على الاتصاف بما في حيز الصلة، والإسقاطُ عن رتبة الخطاب، غير أن الأول هو الأشهر، أي لا أحد أظلم منهم؛ لأنهم كذبوا وأعرضوا[٤].

****

---

(١) سورة الأنعام ٦ من الآية ١٥٧.

(٢) تقدم تعريف الالتفات صـ١١. وفي آية سورة الأنعام قوله: ﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ جاء على طريقة الخطاب، ثم قال: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۚ﴾ على طريقة الغَيبة والالتفات.

(٣) إرشاد العقل السليم ٣٠٨/٢. وينظر روح المعاني للآلوسي ٦٢/٨.

(٤) ينظر إرشاد العقل السليم لأبي السعود ٣٠٨/٢. وروح المعاني للآلوسي ٦٢/٨. وزهرة التفاسير لأبي زهرة ٢٧٥١/٥. والتحرير والتنوير لابن عاشور ١٨٢/٨.

سورة الأعراف

وفيها موضع واحد، وهو:

وضع "الذين كذبوا" موضع الضمير "هم" في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ﴾[1].

المراد بالموصول في الآية الكفار[2]، وقد سبق ذكره في قوله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾[3].

وكان مقتضى السياق الإضمار بأن يقال: "إنهم لا تفتح لهم أبواب السماء" إلخ؛ تبعا للآيات السابقة في السورة نفسها، وإنما عدل عن الضمير إلى الموصول؛ لغرضين:

أولهما: الإشارة إلى علة الحكم أو الخبر، قال ابن عاشور: ووقع الإظهار في مقام الإضمار إلخ، واختير من طرق الإظهار طريقُ التعريف بالموصول؛ إيذاناً بما تومئ إليه الصلة من وجه بناء الخبر، أي: إن ذلك؛ لأجل تكذيبهم بآيات الله واستكبارِهم عنها[4].

أي لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة- بسبب كفرهم بآيات الله وإعراضهم عنها[5].

---

(1) سورة الأعراف ٧ من الآية ٤٠.

(2) ينظر مفاتيح الغيب للرازي ١٤/٨٠.

(3) سورة الأعراف ٧ الآية ٣٦.

(4) التحرير والتنوير ٨/١٢٦.

(5) ينظر التحرير والتنوير لابن عاشور ٨/١١١. وزهرة التفاسير لأبي زهرة ٦/٢٨٣٧.

ثانيهما: قصد التعميم لكل من اتصف بالوصف، قال البقاعي: وأظهر موضع الإضمار؛ تعميماً وتعليقاً للحكم بالوصف: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ أي: وهي المعروفة بالعظمة بالنسبة إلينا ﴿وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا﴾ أي: وأوجدوا الكبر متجاوزين عن اتباعها ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ﴾ أي: لصعود أعمالهم ولا دعائهم ولا أرواحهم ولا لنزول البركات عليهم ﴿أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾؛ لأنها طاهرة عن الأرجاس الحسية والمعنوية إلخ ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ﴾ أي: التي هي أطهر المنازل وأشرفها ﴿حَتَّىٰ﴾ يكون ما لا يكون بأن ﴿يَلِجَ﴾ أي: يدخل ويجوز ﴿ٱلْجَمَلُ﴾ على كِبَره ﴿فِى سَمِّ﴾ أي: في خَرْقِ ﴿ٱلْخِيَاطِ﴾ أي الإبرة، إذاً فهو تعليق على محال [1].

****

سورة التوبة

وفيها موضعان، وهما:

١- وضع "الذين كذبوا" موضع واو الفاعل في قوله تعالى: ﴿وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾[2].

وأصل السياق: "وقعدوا"، على أن المراد بالموصول المعتذرون من الأعراب في قول[3].

([1]) نظم الدرر ٣٩٩/٧، ٤٠٠.

([2]) سورة التوبة ٩ من الآية ٩٠، وتمامها: ﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

([3]) وقع الاختلاف في هؤلاء الجائين في قوله ﷻ: ﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ الآية هل كانوا صادقين في الاعتذار أم لا؟ وعلى القول بصدقهم يكون المراد بالموصول في قوله سبحانه: ﴿وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ غيرَهم وهم أناس من الأعراب ==

وسر العدول عن الضمير إلى الموصول؛ للإشعار بالعلية حيث قال الإيجي: وأُتي بالظاهر بدل المضمر؛ إشارة إلى أن كذبهم بعثهم على القعود، يعني: وقعد عن الحرب من كذب في المعذرة[١].

أي أن كذبهم سبب في القعود عن الجهاد والغزو.

ويتحقق في الآية غرض ثانٍ هو إفادة عموم الوصف، قال البقاعي: وضع الموصول موضع الضمير؛ للتنبيهُ على وصفهم وهو الكذب؛ وليكون أظهر في شمول الأَعراب وغيرهم[٢].

أعني تنبيه المخاطب؛ لأنه إذا جاء الكلام على خلاف السياق انتبه المخاطب.

وأضاف الآلوسي غرضاً ثالثاً هو الذم، حيث قال: والعدول عن الإضمار إلى الإظهار إظهارٌ لذمهم بعنوان الصلة [٣]، وهو الكذب على الله والرسول.

٢- وضع "الذين كفروا" موضع الضمير "هم" في قوله تعالى: ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٤].

==

منافقون، أي: وقعد آخرون- من الأعراب المنافقين- عن المجيء للاعتذار. وعلى القول بكذبهم يكون المرادُ بالموصول هؤلاء المعتذرين من الأعراب، أي: وجاء المعذرون من الأعراب فاعتذروا وقعدوا عن الغزو معك. أنوار التنزيل للبيضاوي ٩٣/٣. وروح المعاني للآلوسي ١٥٧/١٠. بتصرف.

(١) جامع البيان للإيجي ٩٢/٢ .

(٢) نظم الدرر للبقاعي ٥٧٢/٨ بتصرف.

(٣) روح المعاني للآلوسي ١٥٧/١٠.

(٤) سورة التوبة ٩ من الآية ٩٠.

ظاهر السياق أن يقال في غير القرآن: "سيصيبهم عذاب أليم" على اعتبار أن المراد بالموصول عينُ المراد بالقاعدين الذين كذَبوا الله ورسوله.

وعدل عن الضمير إلى الموصول؛ للإشعار بعلة عذابهم، وثمة أغراضٌ بلاغية أخرى، فالأغراض تتلاقى ولا تتعارض.

قال الشيخ أبو زهرة: وهنا إظهار في موضع الإضمار؛ لأن المؤدَّى أنه سيصيب هؤلاء القاعدين الذين كذبوا الله ورسوله عذاب أليم، وكان الإظهار؛ لأمرين: أولهما: بيان أن منهم كافرين، وبسبب الكفر سينالهم عذاب أليم، وثانيهما: أن منهم من لا يصرون على الكفر فيتوبون، فهذا العقاب للذين يصرون ولا يتوبون[1].

****

سورة يونس

وفيها خمسة مواضع، وهي:

١- وضع "الذين لا يرجون" موضع الضمير "هم" في قوله تعالى: ﴿فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾[2].

([1]) زهرة التفاسير ٣٤٠٩/٧.

([2]) سورة يونس ١٠ الآية من ١١.

والمراد بالناس كفار مكة وقولهم: ﴿فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾[1][2]، وحق المقام أن يقال: "فنذرهم في طغيانهم" جريا على سياق الضمائر في الآية[3].

قال أبو السعود: في وضع الموصول موضع الضمير نوعٌ بيانٍ للطغيان بما في حيز الصلةِ، وإشعارٌ بعليته للترك والاستدراج[4].

وبهذا يتحقق في الآية غرضان بلاغيان: التعليل والبيان بما في حيز الصلة، غير أن الأول هو الأشهر عند المفسرين.

أي فنتركهم إمهالاً واستدراجاً في طغيانهم يعمهون- بسبب عدم رجاء اللقاء.

وذكر الشيخ أبو زهرة أن عدم رجائهم اللقاء علةُ استمرار طغيانهم وتجاوزهم، فقال: وعبَّر سبحانه بالموصول: ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا﴾؛ للإشارة إلى أن السبب في استمرار طغيانهم وتجاوزهم أنهم لا يتوقعون

---

(1) سورة الأنفال ٨ من الآية ٣٢، وتمامها: ﴿وَإِذۡ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ﴾.

(2) ينظر مدارك التأويل للنسفي ٩/٢. والبحر المحيط لأبي حيان ١٣٣/٥.

(3) وهي قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾.

(4) إرشاد العقل السليم. وينظر روح المعاني للآلوسي ٧٩/١١. وزهرة التفاسير لأبي زهرة ٣٥٢٦/٧.

لقاء الله تعالى وتلقيَ الجزاء فيخافون، أو تلقيَ الثواب فلا يطغون، ولكن المناسب هنا هو جزاء الطغيان إذْ هو المذكور[1].

أي أن كون عدم رجاء اللقاء علة الترك والاستدراج- أنسب من كونه علة استمرارهم في الطغيان؛ إذ هو المذكور في الآية.

ويتحقق في الآية غرض بلاغي ثالث هو التخصيص لهؤلاء الناس بعدم رجاء اللقاء، قال البقاعي: قوله: ﴿فَنَذَرُ﴾ أي على أيّ حالة كانت، ووضع موضع الضمير؛ تخصيصاً؛ وتنبيهاً على ما أوجب لهم الإعراض والجرأة قوله: ﴿ٱلَّذِينَ﴾ وأشار بنفي الرجاء إلى نفي الخوف على الوجه الأبلغ فقال: ﴿لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا﴾ أي بعد الموت بهذا الاستدراج على ما لنا من العظمة التي مَنْ أَمِنَها كان أضلَّ من الأنعام[2].

٢- **وضع "الذين لا يرجون" موضع واو الفاعل في قوله تعالى**: ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا﴾[3].

([1]) زهرة التفاسير لأبي زهرة ٣٥٢٦/٧.

([2]) نظم الدرر ٨٢/٩، ٨٣.

([3]) سورة يونس ١٠ من الآية ١٥، وتمامها: ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ قُلۡ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِ نَفۡسِيٓۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾.

وضمير الغَيبة في قوله: ﴿تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ راجع إلى الناس[1]، أو راجع إلى الذين لا يرجون لقاءنا في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ﴾[2][3].

وأصل الآية الإضمار بأن يقال: "وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا" إلخ تبعاً للسياق والسباق.

قال أبو السعود: وُضِعَ الموصولُ موضعَ الضميرِ؛ إشعاراً بعلية مَا في حيزِ الصِّلةِ العظيمة المحكيةِ عنهم، وأنهم إنما اجترأوا عليها؛ لعدم خوفِهم من عقابه تعالى يوم اللقاءِ؛ لإنكارهم له ولما هو من مباديه من البعث؛ وذماً لهم بذلك [4].

([1]) في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ سورة يونس ١٠ الآية ١١.

([2]) سورة يونس ١٠ الآية ٧.

([3]) ينظر التحرير والتنوير لابن عاشور ١١٧/١١.

([4]) إرشاد العقل السليم ٦٤٠/٢. وينظر نظم الدرر للبقاعي ٨٧/٩ حيث ذكر أن الموصول بصلته في قوله: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ في موضع الضمير؛ تنبيهاً على أن هذا الوصف علة قولهم. وروح المعاني للآلوسي ٨٣/١١. وتفسير المنار ٣١٩/١١.

أي قالوا له ﷺ: ائت بقرآن غير هذا إلخ؛ لأنهم لا يرجون لقاء الله، أي لا يخافون البعث والحساب ولا يرجون ثوابه تعالى [١].

وبهذا يتحقق في الآية غرضان بلاغيان: التعليل والذم، غير أن الأول هو الأشهر عند المفسرين.

ويرى صاحب تفسير المنار أن الأظهر في سبب قولهم هذا- أنهم أرادوا أن يمتحنوه بمطالبته بالإتيان بقرآن غيره، أو بالتصرف فيه بالتغيير والتبديل لما يكرهونه منه كتحقير آلهتهم، حتى إذا فعل هذا أو ذاك كانت دعواه أنه كلام الله أوحاه إليه منقوضة من أساسها[٢].

ولا مانع من كثرة الأسباب التي حملتهم على قولهم هذا، فلا يقتصر ذلك على سبب بعينه.

ويرى ابن عاشور أن الغرض من وضع الموصول موضع الضمير ليس التعليل، بل الاشتهار بمضمون الصلة، فقال: المقام للإضمار، وما كان الإظهار بالموصولية إلا لأن ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ﴾ لقاء الله اشتهر به المشركون، فصارت هذه الصلة كالعَلَم عليهم، وليس بين الصلة وبين الخبر هنا علاقة تعليل، فلا يكون الموصول؛ للإيماء إلى وجه بناء الخبر[٣].

---

(١) ينظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣١٩/٨. وإرشاد العقل السليم لأبي السعود ٦٣١/٢.

(٢) ينظر تفسير المنار ٣١٩/١١.

(٣) التحرير والتنوير ١١٧/١١ بتصرف.

ولا مانع من احتمال الآية لكل ما سبق من الأغراض البلاغية؛ لأنها لا تتعارض، وليست مقصورة على غرض واحد كما قال ابن عاشور.

٣- وضع "الذين فسقوا" موضع الضمير "هم" في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[١].

والمراد بـ ﴿ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ﴾ عين المراد بـ ﴿ٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[٢] وهم المشركون خاصة في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ ۚ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾[٣] [٤].

وأصل السياق الإضمار بأن يقال: حقت عليهم كلمة الله إلخ، ولكن عدل عن الضمير إلى الموصول؛ لثلاثة أغراض:

أولها وأشهرها: إفادة التعليل، أي حقت عليهم كلمة الله بانتفاء الإيمان أو العدة بالعقاب بسبب فسقهم وتمردهم.

قال الطيبي: أي: حقت عليهم كلمة العذاب، فوضع ﴿ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ﴾ موضع الضمير؛ للعِلّية[٥].

---

(١) سورة يونس ١٠ الآية ٣٣.

(٢) السورة السابقة من الآية ٢٧، وتمامها: ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

(٣) سورة يونس ١٠ الآية ٢٨.

(٤) ينظر مفاتيح الغيب للرازي ٨٦/١٧.

(٥) فتوح الغيب ٤٨١/٧. وينظر روح المعاني للآلوسي ١١٢/١١. ومحاسن التأويل للقاسمي ٣٣٤٦/٩. وزهرة التفاسير لأبي زهرة ٣٥٦٣/٧. والتحرير والتنوير لابن عاشور ١٦٠/١١.

ثانيها: إفادة الذم، قال الآلوسي: ووضع الموصول موضع ضميرهم؛ للتوصل إلى ذمهم بعنوان الصلة؛ وللإشعار بالعلية [1].

ثالثها: إفادة اتصافهم بالفسق، قال ابن عاشور: يجوز أن يكون المراد بـ﴿ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟﴾ كل من استمر على فسقه فلا يؤمن إلخ، ويجوز أن يكون المراد بـ﴿ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟﴾ المتحدث عنهم خاصة، فيكون من الإظهار في مقام الإضمار؛ لإفادة أنهم مع صفاتهم السابقة قد اتصفوا بالفسق؛ ولإفادة كون فسقهم علةٌ في أن حقت عليهم كلمة الله[2].

٤- وضع "الذين كذبوا" موضع واو الفاعل في قوله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾[3].

والسياق أن يقال: "قد خسروا"؛ نظراً لأسلوب السباق، وهذا الإضمار بناء على القول بأن: ﴿قَدْ خَسِرَ﴾ الآية حال من فاعل ﴿يَتَعَارَفُونَ﴾[4].

---

(1) روح المعاني ١١٢/١١.

(2) التحرير والتنوير ١٦٠/١١.

(3) سورة يونس ١٠ من الآية ٤٥، وتمامها: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾.

(4) اختلف في قوله ﷻ: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟﴾ الآية هل هو استئناف أم متصل بما قبله؟ فالقول الأول: أنه جملة استئنافية سيقت للشهادة من الله ﷻ على خُسرانهم والتعجب منه، أي: ما أخسرهم. والقول الثاني: حالٌ منْ ضميرِ ﴿يَتَعَارَفُونَ﴾ على إرادة القولِ، أي: يتعارفون بينهم قائلين ذلك. فتوح الغيب للطيبي ٤٩٧/٧. وإرشاد العقل السليم لأبي السعود ٦٧٢/٢. بتصرف.

والمراد بالموصول هنا عينُ المراد بالضمير الغائب في: ﴿وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِ﴾[1] وهو مكذبو قريش وغيرُهم للنبي ﷺ[2].

قال أبو السعود: والتعبيرُ عنهم بالموصول مع كون المقام مقام إضمارٍ؛ لذمِّهم بما في حيزِ الصلة وهو التكذيب؛ وللإشعار بعليته لما أصابهم[3].

أي أن التكذيب هو سبب الحكم عليهم بالخسران وعدم الهداية.

ويتحقق في الآية غرض ثان هو التعميم لتعليق الحكم بالوصف، قال البقاعي: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ﴾ أُظْهِرَ موضعَ الإضمار؛ تعميماً وتعليقاً للحكم بالوصف [4].

فالحكم بالخسران وعدم الهداية يشمل كل من كذب بلقائه تعالى من قيام الساعة وما يترتب عليها من البعث وغيره.

([1]) سورة يونس ١٠ من الآية ٤٠، وتمامها: ﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾.

([2]) ينظر جامع البيان للطبري ٩٤/١٥، والهداية لمكي ٣٢٧٠/٥، والجواهر الحسان للثعالبي ٢٤٨/٢ بتصرف، عند تفسير قوله ﷻ: ﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾.

([3]) إرشاد العقل السليم ٦٧٢/٢بتصرف. وينظر روح المعاني للآلوسي ١١/ ١٢٨. والتحرير والتنوير لابن عاشور ١٨١/١١ وعبارته: عدل عن الإضمار إلى الموصولية إلخ؛ للإيماء إلى أن سبب خسرانهم هو تكذيبهم بلقاء الله.

([4]) نظم الدرر ١٣٢/٩.

٥- وضع "الذين ظلموا" موضع الضمير "هم" في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ﴾[١].

والأصل: "ثم قيل لهم ذوقوا"؛ لأنه عطفٌ على الفعل "قيل" المقدَّرِ قبل لفظ: ﴿ءَآلْـَٔـٰنَ﴾[٢]، أي قيل لهم: ءالآن آمنتم به؟ ﴿ثُمَّ قِيلَ﴾ الآية .

والمراد بالموصول عينُ المراد بضمير الفاعل في: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾[٣] وهم الكفارُ من قوم النبي ﷺ [٤].

قال أبو السعود: ووضعُ الموصولِ موضعَ الضميرِ؛ لذمِّهم بما في حيزِ الصلة؛ والإشعارِ بعلّيته لإصابة ما أصابهم[٥].

وبهذا يتحقق في الآية غرضان بلاغيان: الأول: الذم بالظلم، والثاني: التعليل، أي أن الظلم هو علة ذوقهم عذاب الخُلْد، إلا أن أبا السعود قدم الذم على التعليل.

---

(١) سورة يونس ١٠ من الآية ٥٢.

(٢) السورة السابقة من الآية ٥١، وتمامها: ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ءَآلْـَٔـٰنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾.

(٣) السورة السابقة من الآية ٤٨.

(٤) ينظر جامع البيان للطبري ٩٩/١٥. والمحرر الوجيز لابن عطية ١٢٤/٣. والتحرير والتنوير لابن عاشور ١٩٥/١١. بتصرف.

(٥) إرشاد العقل السليم ٦٧٦/٢. وينظر روح المعاني للآلوسي ١١/ ١٣٥. وزهرة التفاسير لأبي زهرة ٣٥٨٩/٧ وعبارته: وعبر عنهم بالموصول ﴿لِلَّذِينَ﴾؛ للإشارة إلى سبب العقاب وهو ظلمهم بالشرك.

ويصح أن تشتمل الآية على غرض بلاغي ثالث هو التسجيل بالظلم عليهم، قال ابن عاشور: و﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ إلخ أُظْهِرَ في مقام الإضمار؛ لتسجيل وصف الظلم عليهم، وهو ظلم النفس بالإشراك[1].

****

سورة هود

وفيها موضعان، وهما:

١- وضع "الذين ظلموا" موضع الضمير "هم" في قوله تعالى: ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ﴾[2].

والمراد بالموصول ثمود قوم صالح الذين تقدم ذكرهم، والأصل الإضمار بأن يقال: وأخذهم الصيحة.

قال أبو السعود: ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ عدل عن المضمر إلى المظهر؛ تسجيلاً عليهم بالظلم؛ وإشعاراً بعلّيته لنزول العذابِ بهم[3].

وبهذا يتحقق في الآية غرضان بلاغيان: أولهما: التسجيل، وثانيهما- وهو الأشهر-: الإيماء إلى علة الحكم.

---

(١) التحرير والتنوير ١١/١٩٥ بتصرف يسير.

(٢) سورة هود ١١ الآية ٦٧.

(٣) إرشاد العقل السليم ٣/٦٦. وينظر روح المعاني للآلوسي ١٢/٩٢. والتحرير والتنوير لابن عاشور ١٢/١١٤.

أي أخذهم العذاب؛ لظلمهم وهو ظلم الكفر والشرك وغيره[1].

٢- وضع "الذين ظلموا" موضع الضمير "هم" في قوله تعالى: ﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ﴾[2].

والمراد بالموصول مدين قوم شعيب الذين تقدم ذكرهم، والأصل: "وأخذتهم الصيحة" بالإضمار، وإنما عدل عن ضمير الغائب؛ لغرضين:

الأول والأشهر: الإشعار بالعلية، قال أبو زهرة: وأظهر في موضع الإضمار؛ لبيان أن ما أنزل بهم من العذاب سببُه الظلم بالشرك، والظلمُ بنقص المكيال والميزان، والظلمُ بمنع الناس حقوقهم وبخسِهم حظوظَهم[3].

الثاني: تسجيل الظلم عليهم، قال أبو السعود: ﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ عدل إليه عن الضمير؛ تسجيلاً عليهم بالظلم؛ وإشعاراً بأن ما أخذهم إنما أخذهم بسبب ظلمِهم الذي فُصّل فيما سبق فنونُه[4].

****

---

(1) ينظر معالم التنزيل للبغوي ١٨٧/٤ .

(2) سورة هود ١١ من الآية ٩٤.

(3) زهرة التفاسير ٣٧٤٥/٧. وينظر إرشاد العقل السليم لأبي السعود ٨٧/٣. وروح المعاني للآلوسي ١٢٩/١٢.

(4) إرشاد العقل السليم ٨٧/٣. وينظر روح المعاني للآلوسي ١٢٩/١٢.

سورة الرعد

وفيها ثلاثة مواضع، وهي:

١- وضع "الذين كفروا" موضع واو الفاعل في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[١].

والكفار القائلون هذه المقالة هم المستعجلون للعذاب[٢] في قوله ﷻ: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ﴾[٣] **وهم مشركو مكة كما روي عن قتادة[٤].**

وأصل السياق: ويقولون لولا أنزل عليه آية إلخ، على أنها معطوفة على جملة: ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ﴾.

ونظيرُه قوله ﷻ: ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ﴾[٥].

---

(١) سورة الرعد ١٣ الآية ٧.

(٢) ينظر إرشاد العقل السليم لأبي السعود ٢٠٢/٣. وفتح القدير للشوكاني ٩٣/٣. وروح البيان للآلوسي ١٠٧/١٣.

(٣) سورة الرعد ١٣ من الآية ٦ وتمامها: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ ۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٦﴾.

(٤) والقول بأنهم مشركو العرب أسنده الطبري في جامع البيان ٣٥٣/١٦ إلى قتادة بسند حسن. ونسبه الواحدي في التفسير البسيط ٢٩٨/١٢ إلى المفسرين. ومنهم: الخازن في لباب التأويل ٥٤/٣. وأبو السعود في إرشاد العقل السليم ٢٠٢/٣.

(٥) سورة يونس ١٠ من الآية ٢٠.

وإنما وضع الموصول موضع الضمير في الآية؛ للإشعار بالعلية، قال الشيخ أبو زهرة: عبر بالموصول بدل الضمير؛ وذلك لبيان أن الكفر ابتداء هو الذي دفعهم إلى طلب آية أخرى، فصلة الموصول- وهي الكفر- علة الطلب، فليست علة الطلب الحق ليهتدوا، فقد طمس على قلوبهم، وإنما اتخذوا ذلك تعلة لكفرهم، وتماديهم في غيهم [1].

أي أن كفرهم بآيات القرآن هو سبب قولهم هذا.

ويصح أن تشتمل الآية على غرض بلاغي ثان هو الذم، قال أبو السعود: وإنما عدل عن الإضمار إلى الموصول؛ ذماً لهم؛ ونعياً عليهم كفرَهم بآياتِ الله تعالى إلخ [2].

وأضاف ابنُ عاشور غرضاً ثالثا هو التسجيل عليهم بوصف الكفر، حيث قال: وإنما عدل عن الضمير إلى اسم الموصول؛ لزيادة تسجيل الكفر عليهم؛ ولما يومئ إليه الموصول من تعليل صدور قولهم ذلك[3].

٢- وضع "الذين كفروا" موضع واو الفاعل في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ﴾[4].

---

(1) زهرة التفاسير ٣٩٠٢/٧ .

(2) إرشاد العقل السليم ٢٠٢/٣ بتصرف. وينظر روح المعاني للآلوسي ١٠٧/١٣. وفتح البيان للقِنَّوجي ٢٢/٧.

(3) التحرير والتنوير ٩٤/١٣ بتصرف.

(4) سورة الرعد ١٣ من الآية ٢٧.

وسياق الآية: ويقولون لولا أنزل عليه آية إلخ، بناء على أن ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ معطوف على ﴿فَرِحُوا﴾[1][2] أي أهلُ مكة[3].

وإنما عدل عن الضمير إلى الموصول؛ للإشعار بالعلية، قال البقاعي: قال- سبحانه- على سبيل التعجب مظهراً لما من شأنه الإضمار؛ تنبيهاً على الوصف الذي أوجب لهم التعنت: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي: ستروا ما دعتهم إليه عقولهم من الخير وما لله من الآيات عناداً[4].

أي أن كفرهم هو علة قولهم وطلبهم.

ويصح أن تشتمل الآية على غرضين بلاغيين آخرين هما: الذم والتسجيل، قال أبو السعود: وإيثارُ التعبير بالموصول على الإضمار مع ظهور إرادتِهم عُقيبَ ذكرِ فرحِهم بالحياة الدنيا؛ لذمهم؛ والتسجيلِ عليهم

---

(1) سورة الرعد ١٣ من الآية ٢٦، وتمامها: ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ﴾.

(2) ينظر نظم الدرر للبقاعي ٣٣٥/١٠ .

(3) القول بأنهم مشركو مكة نسبه الواحدي في التفسير البسيط ٣٤٥/١٢ إلى المفسرين . ومنهم الطبري في جامع البيان ٤٣١/١٦. والبغوي في معالم التنزيل ٣١٥/٤. وابن عطية في المحرر الوجيز ٣١١/٣.

(4) نظم الدرر ٣٣٥/١٠ بتصرف. وينظر زهرة التفاسير لأبي زهرة ٣٩٤٤/٨ وعبارته: والتعبير بالموصول يدل على أن الصلة علة الطلب، فكفرهم هو علة طلبهم.

بالكفر بآيات القرآن فيما حُكيَ عنهم من قولهم: ﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ (١).

٣- وضع "الذين كفروا" موضع الضمير "هم" في قوله تعالى: ﴿بَلۡ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكۡرُهُمۡ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِۗ﴾(٢).

سبق الحديث عن ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ **مراراً في:** ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ﴾(٣)، ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ﴾(٤)، ﴿فَأَمۡلَيۡتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ﴾(٥)، **والمراد بهم كفار مكة على أحد الأقوال**(٦).

---

(١) إرشاد العقل السليم ٣/٢٢٠، ٢٢١ بتصرف. وينظر روح المعاني للآلوسي ١٣/١٤٨.

(٢) سورة الرعد ١٣ من الآية ٣٣.

(٣) السورة السابقة من الآية ١١، ٢٧.

(٤) السورة السابقة من الآية ٣١.

(٥) السورة السابقة من الآية ٣٢.

(٦) اختلف في المراد بالموصول في قوله: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم﴾ على ثلاثة أقوال: الأول: الكفار عامة وذهب إليه أبو حيان وغيره. والثاني: كفار قريش والعرب وذهب إليه ابن عطية. والثالث: كفار مكة وذهب إليه الزمخشري وغيره. ينظر بحر العلوم للسمرقندي ٢/١٩٤، ١٩٥ حيث ذهب إلى أن المراد بالموصول في: ﴿بَلۡ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكۡرُهُمۡ﴾ أيضاً كفارُ مكة. والكشاف للزمخشري ٣/٣٥٣. والمحرر الوجيز لابن عطية ٣/٣١٣. والبحر المحيط لأبي حيان ٥/٣٨٤. بتصرف.

وأصل السياق: "بل زُيّن لهم مكرُهم" إلخ بالإضمار، ونظيره قوله ﷻ: ﴿زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ﴾[1].

وإنما عدل عن الموصول إلى الضمير؛ للتعليل بما في حيز الصلة، قال البقاعي: وعبر بذلك- أي بالضمير بدل الموصول- تنبيهاً على الوصف الذي أدلاهم[2] إلى اعتقاد الباطل، وهو ستر ما أدى إليه برهان العقل المؤيد بدليل النقل، ﴿مَكْرُهُمْ﴾ أي: أمرهم الذي أرادوا به ما يراد بالمكر من إظهار شيء وإبطان غيره، وذلك أنهم أظهروا أن شركاءهم آلهةٌ حقاً، وهم يعلمون بطلان ذلك إلخ[3].

أي زين لهم مكرهم وصدوا عن سبيل الهدى بسبب كفرهم وشركهم.

ويصح أن تشتمل الآية على غرضين بلاغيين آخرَين، قال أبو السعود: وضع الموصول موضع المضمر؛ ذماً لهم؛ وتسجيلاً عليهم بما في حيز الصلة وهو الكفر[4].

---

(1) سورة التوبة ٩ من الآية ٢٧، وتمامها: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

(2) أي أوصلهم.

(3) نظم الدرر ٣٤٨/١٠.

(4) إرشاد العقل السليم ٢٢٩/٣ بتصرف. وينظر روح المعاني للآلوسي ١٦٢/١٣.

وبهذا تشتمل الآية على غرضين هما: الذم بوصف الكفر، والتسجيل به.

****

سورة إبراهيم

وفيها موضع واحد، وهو:

وضع "الذين ظلموا" موضع واو الفاعل في قوله تعالى: ﴿فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾[1].

والمراد بـ ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ الكفارُ المعبر عنهم بالناس[2] في قوله: ﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ﴾.

---

(1) سورة إبراهيم ١٤ من الآية ٤٤، وتمامها: ﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾.

(2) واختُلف في المراد بالناس في الآية على ثلاثة أقوال: عموم الناس، وقيل: عموم الكفار، وقيل: مشركو مكة. وذهب إلى الأول الشوكاني وغيره، وإلى الثاني أبو حيان وغيره، وإلى الثالث الواحدي وغيره ونسبه لابن عباس. والأول أرجح؛ لأن الإنذار كما يكون للكافر يكون للمؤمن، إلا أن المؤمن يستجيب، والكافر لا يستجيب. التفسير الوسيط للواحدي ٣٥/٣. والبحر المحيط لأبي حيان ٤٢٤/٥. وفتح القدير للشوكاني ١٥٨/٣. بتصرف.

وأصل السياق: "فيقولون ربنا أخرنا" بالإضمار؛ نظراً لرجوع الضمير على الناس في الآية السابقة، وعلى الظالمين في قوله ﷻ: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[1].

وإنما عدل عن ضمير الغائب إلى الموصول؛ لغرضين:

أولهما وأشهرهما: الإشعار بالعلية، قال الشوكاني: والعدول إلى الإظهار مكان الإضمار؛ للإشعار بأن الظلم هو العلة فيما نزل بهم[2].

ثانيهما: تسجيل الظلم أو الشرك عليهم، قال أبو السعود: ﴿فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ﴾ أي فيقولون، والعدولُ عنه- أي الضمير- إلى مَا عليهِ النظمُ الكريمُ؛ للتسجيل عليهم بالظلم؛ وللإشعار بأن ما لقُوه من الشدة إنما هو؛ لظلمهم[3].

****

---

(1) سورة إبراهيم ١٤ من الآية ٤٢.

(2) فتح القدير للشوكاني ١٥٨/٣. وينظر إرشاد العقل السليم لأبي السعود ٢٧٦/٣. وروح المعاني للآلوسي ٢٤٨/١٣. وفتح البيان للقنوجي ١٣٣/٧. وحدائق الروح والريحان لمحمد الأمين ٤٤٦/١٤.

(3) إرشاد العقل السليم ٢٧٦/٣. وينظر روح المعاني للآلوسي ٢٤٨/١٣.

سورة النحل

وفيها خمسة مواضع، وهي:

١- وضع "الذين أحسنوا" موضع كاف الخطاب في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾[١].

المراد بالذين أحسنوا في الآية هم الذين اتقوا، والأصل الإضمار بأن يقال: لكم في هذه الدنيا حسنة إلخ.

وإنما عدل عن ضمير المخاطب إلى الموصول؛ لثلاثة أغراض:

أولها: التعليل، قال ابن عاشور: والذين أحسنوا: هم المتقون، فهو من الإظهار في مقام الإضمار؛ توصلا بالإتيان بالموصول إلى الإيماء إلى وجه بناء الخبر، أي: جزاؤهم حسنة؛ لأنهم أحسنوا[٢].

ثانيها: الإشعار بأهليتهم للجزاء الحسن، قال الطيبي: و﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ مُظهَر وُضع موضع المضمَر؛ للإشعار بأنهم مستأهلون بأن يحسن إليهم دُنيا وعُقبى[٣].

ثالثها: المدح والتعميم للمتقين، قال البقاعي: أخذ يرغب بما لهم من حسن المآل على وجه الجواب للسؤال كأنه قال: ما لهم على ذلك؟ فقيل مظهِراً موضع الإضمار؛ مدحاً لهم؛ وتعميماً لمن اتصف بوصفهم:

---

(١) سورة النحل ١٦ من الآية ٣٠.

(٢) التحرير والتنوير ٢٤/١٤.

(٣) فتوح الغيب ١١٢/٩.

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ فبين أن اعترافهم بذلك إحسان؛ ثم أخبر عنه بقوله: ﴿فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ أي: جزاء لهم على إحسانهم ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾[1] [2].

٢- وضع "من يضل" موضع الضمير "هم" في قوله تعالى: ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ﴾[3].

والمراد بالموصول قريشٌ المعبَّر عنهم فيما مر بـ ﴿ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾[4].

وأصل الآية: إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهديهم.

قال أبو السعود: إنما وضع الموصول موضع الضمير؛ للتنصيص على أنهم ممن حقت عليهم الضلالةُ؛ وللإشعار بعلة الحُكمِ[5].

وبهذا تشتمل الآية على غرضين بلاغيين: الأول: التنصيص على أن المراد بالموصول ممن حقت عليه الضلالة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى

---

(1) سورة الرحمن ٥٥ الآية ٦٠.

(2) نظم الدرر ١٤٧/١١ بتصرف يسير.

(3) سورة النحل ١٦ من الآية ٣٧.

(4) سورة النحل ١٦ من الآية ٣٥، وتمامها: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾.

(5) إرشاد العقل السليم ٣٦١/٣. وينظر روح المعاني للآلوسي ١٣٩/١٤.

كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ ﴾[1].

والغرض الثاني: التعليل، أي لا يوفقهم للهداية؛ لأنه أضلهم في سابق علمه بسوء اختيارهم[2].

٣- وضع "الذين كفروا" موضع الضمير "هم" في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾[3].

المراد بالموصول كفار مكة[4]، وقد سبق الحديث عنهم، وأن الله ذكر نعمه على الكافرين وإنكارهم لها، وذكر أن أكثرهم كافرون، فكان مقتضى السياق الإضمار بأن يقال: "ثم لا يُؤذَن لهم ولا هم يُستعتبون"، ومثله قوله ﷻ: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾[5].

قال الشيخ أبو زهرة: وفى قوله تعالى: ﴿لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ **الموصول جاء في موضع الضمير؛ وذلك للإشارة إلى أن السبب في عدم الإذن لهم بالاعتذار، وفي أنهم لَا يُمَكَّنُون من الاستعتاب- هو كفرهم الذي عاندوا به النبيين[6] .**

---

(١) سورة النحل ١٦ من الآية ٣٦.

(٢) ينظر معاني القراءات للأزهري ٧٩/٢ بتصرف.

(٣) سورة النحل ١٦ من الآية ٨٤.

(٤) ينظر التفسير الوسيط للواحدي ٧٧/٣.

(٥) سورة المرسلات ٧٧ الآية ٣٦.

(٦) زهرة التفاسير ٤٢٤٢/٨ بتصرف.

أي: لا يؤذن لهم في الاعتذار بسبب كفرهم، ومعنى "لا يؤذن لهم في الاعتذار" أي: إن اعتذروا لم يقبل منهم(١).

٤- وضع "الذين ظلموا" موضع واو الفاعل في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلۡعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمۡ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ﴾(٢).

والمراد من ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ الذين كفروا(٣) في قوله ﷻ: ﴿ثُمَّ لَا يُؤۡذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ﴾(٤).

وكان مقتضى السياق: "وإذا رأوا العذاب فلا يخفف عنهم" بالإضمار، وإنما عدل عنه إلى الموصول؛ لثلاثة أغراض:

أولها وأشهرها: الإشعار بالعلية، قال الطيبي: قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ مُظْهَر وُضع موضع المُضْمَر؛ للإشعار بأن العذاب إنما لم يخفف عنهم؛ لأنهم ظَلَموا(٥).

ثانيها: النعي بمضمون الصلة، قال الآلوسي: وكان الظاهر الضمير إلا أنه أقيم المظهر مقامه؛ للنعي عليهم بما ذكر في حيز الصلة(٦).

---

(١) ينظر الفواتح الإلهية للشيخ علوان ٤٣٥/١.

(٢) سورة النحل ١٦ الآية ٨٥.

(٣) ينظر روح المعاني للآلوسي ٢٠٧/١٤.

(٤) سورة النحل ١٦ من الآية ٨٤.

(٥) فتوح الغيب ١٧٧/٩. وينظر نظم الدرر للبقاعي ٢٣٠/١١. وزهرة التفاسير لأبي زهرة ٤٢٤٢/٨.

(٦) روح المعاني ٢٠٧/١٤.

ثالثها: إجراء الصفة على الموصوف، قال ابن عاشور: والذين ظلموا هم الذين كفروا، فالتعبير به من الإظهار في مقام الإضمار؛ لقصد إجراء الصفات المتلبسين بها عليهم. والمعنى: فلا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون، ثم يساقون إلى العذاب فإذا رأوه لا يخفف عنهم، أي يَسألون تخفيفَه أو تأخيرَ الإقحام فيه فلا يستجاب لهم شيء من ذلك[1].

٥- وضع "الذين لا يؤمنون" موضع الضمير "أنتم" في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾[2].

المراد بـ ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ كفار قريش، وسبق هذا الموصول في قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ﴾[3]، فكان مقتضى السياق الإضمار بأن يقال: "إنما يفتري الكذب أنتم" إلخ، ولكن عدل عن الضمير إلى الموصول[4]؛ لثلاثة أغراض بلاغية:

أولها وثانيها: التعليل والاشتهار بالصلة، قال ابن عاشور: وعبر عن المقصور عليهم- غير المؤمنين- باسم الموصول دون أن يذكر ضميرهم، فيقال: "إنما يفتري الكذب أنتم"؛ ليفيد اشتهارهم بمضمون الصلة؛ ولأن للصلة أثرا في افترائهم؛ لما تفيده الموصولية من الإيماء إلى وجه بناء الخبر[5].

---

(1) التحرير والتنوير ١٤/٢٤٦.

(2) سورة النحل ١٦ من الآية ١٠٥.

(3) سورة النحل ١٦ من الآية ١٠٤.

(4) ينظر روح المعاني للآلوسي ١٤/٢٣٥.

(5) التحرير والتنوير ١٤/٢٩١.

وبهذا يتحقق في الآية غرضان: الأول: تعليل الحكم، أي اجتراؤهم على الكذب بسبب عدم إيمانهم، والثاني: اشتهار كفار قريش بمضمون الصلة أي بعدم إيمانهم بالآيات حتى صار كالعلم عليهم.

ثالثها: الإشعار بمنافاة الكذب للإيمان، قال الطيبي: وإنما عدل مِن ظاهر قوله: "بل أنتم مفترون" إلى قوله: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾؛ ليكون إشعاراً بأن بين الإيمان وبين الكذب منافاةً، والكذبُ من شيمة مَنْ عَدِم الإيمان؛ تعريضاً بهم؛ وبعثاً على التفكر في أن الكاذب منه ومنهم مَن هو[1]؟

****

سورة مريم

وفيها موضعان، وهما:

١- وضع "الذين كفروا" موضع الضمير "هم" في قوله تعالى: ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[2].

حق المقام أن يقال: "فويل لهم" أي: للأحزاب[3] المختلفين في شأن عيسى عليه السلام.

([1]) فتوح الغيب ٩/٢٠٠، ٢٠١.

([2]) سورة مريم ١٩ الآية ٣٧.

([3]) والأحزاب جمع حزب والمراد بهم فرق اليهود والنصارى الذين اختلفوا في شأنه عليه السلام، فمنهم من اتهم أمه عليها السلام بما هي بريئة منه، وهم اليهود كما في قوله: ==

قال أبو السعود: عبّر عنهم بالموصول؛ إيذاناً بكفرهم جميعاً؛ وإشعاراً بعلة الحُكم(١).

وبهذا يتحقق في الآية غرضان بلاغيان: التعليل والإيذان بما في حيز الصلة، غير أن الأول هو الأشهر عند المفسرين.

أي ويل لهم بسبب كفرهم.

٢- وضع "الذين كفروا" موضع واو الفاعل في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾(٢).

والضمير في ﴿عَلَيْهِمْ﴾ راجع إلى الكفار الذي سبق ذكرهم في قوله: ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾(٣)(٤).

==

﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَـٰنًا عَظِيمًا﴾. ومنهم من قال: هو ابن الله، أو هو الله، أو هو ثالث ثلاثة، إلى غير ذلك من الأقوال الباطلة التي حكاها القرآن عن النصارى. تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٤٥/٩، ٢٤٦ . والسراج المنير للشربيني ٤٢٦/٢. بتصرف.

(١) إرشاد العقل السليم ٥٨٣/٣. وينظر البحر المديد لابن عجيبة ٣٣٣/٣. وروح المعاني للآلوسي ٩٣/١٦. وفتح البيان للقنوجي ١٦١/٨. ومحاسن التأويل للقاسمي صـ٤١٤٢. وحدائق الروح والريحان لمحمد الأمين ١٦٦/١٧. وزهرة التفاسير لأبي زهرة ٤٦٤١/٩.

(٢) سورة مريم ١٩ الآية ٧٣.

(٣) سورة مريم ١٩ الآية ٦٦.

(٤) ينظر فتح القدير للشوكاني ٤٧٧/٣. وفتح البيان للقنوجي ١٩٠/٨.

ومقتضى السياق أن يقال: قالوا للذين آمنوا أي الفريقين خير إلخ، وعدل عن الضمير إلى الموصول؛ للتنبيه بما في حيز الصلة على العلة.

قال الشوكاني: ووضع الظاهر موضع المضمر في قوله: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾؛ للإشعار بأن كفرهم هو السبب لصدور هذا القول عنهم إلخ [1].

أي قالوا ما قالوا بسبب كفرهم بما يُتلى عليهم رادين له.

****

سورة الأنبياء

وفيها موضع واحد، وهو:

وضع "الذين كفروا" موضع واو الفاعل في قوله تعالى: ﴿لَوۡ يَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ﴾[2].

سبق ذكر ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ **في قوله تعالى:** ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾[3]، و﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾[4]، **فهو مُظْهَرٌ وُضع موضع مُضْمَر،**

---

(1) فتح القدير ٤٧٧/٣. وينظر إرشاد العقل السليم لأبي السعود ٥٩٨/٣. والبحر المديد لابن عجيبة ٣٥٥/٣. وروح المعاني للآلوسي ١٢٤/١٦. وفتح البيان للقِنوجي ١٩١/٨.

(2) سورة الأنبياء ٢٠ من الآية ٣٩.

(3) سورة الأنبياء ٢٠ من الآية ٣٦، وتمامها: ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذۡكُرُ ءَالِهَتَكُمۡ وَهُم بِذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ هُمۡ كَٰفِرُونَ﴾.

(4) سورة الأنبياء ٢٠ من الآية ٣٠، وتمامها: ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۖ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ﴾.

المعنيُّ به القائلون: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا﴾[1][2].

والأصل: لو يعلمون حين لا يكفون عن وجوههم النار إلخ.

قال القونوي: قوله "وإنما وضع الظاهر فيه موضع الضمير؛ للدلالة على ما أوجب لهم ذلك"[3] بمقتضى الوعيد؛ لأن الوصف مشعر بالعلية[4].

أي أن الذي أوجب لهم الوعيد المذكور هو كفرهم مطلقاً أو كفرهم بالموعود.

وقال أبو السعود: ووضْعُ الموصولِ موضعَ الضميرِ؛ للتنبيهِ بما في حيزِ الصلة على علّة استعجالِهم[5].

أي أن علة استعجالهم العذاب هو الكفر، والمعنى: لولا كفرهم بالآخرة وما فيها ما استعجلوا هذا العذاب ولما قالوا: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾[6].

****

([1]) سورة الأنبياء ٢٠ من الآية ٢٦.

([2]) ينظر فتوح الغيب للطيبي ٣٤٩/١٠ .

([3]) أنوار التنزيل للبيضاوي ٥٢/٤ .

([4]) حاشية القونوي على البيضاوي ٥٢٤/١٢ . وينظر معها حاشية ابن تمجيد ٥٢٤/١٢.

([5]) إرشاد العقل السليم ٧٠٢/٣. وروح المعاني للآلوسي ٤٩/١٧. وزهرة التفاسير لأبي زهرة ٤٨٦٦/٩.

([6]) سورة الأنبياء ٢٠ من الآية ٣٧.

سورة الحج

وفيها موضع واحد، وهو:

وضع "الذين كفروا" موضع الضمير "هم" في قوله تعالى: ﴿تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمُنكَرَۖ يَكَادُونَ يَسۡطُونَ﴾[1].

مقتضى السياق أن يكون: "تعرف في وجوههم المنكر" بناء على أن جملة ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا﴾[2] عطف على ﴿يَعۡبُدُونَ﴾[3][4]، والمراد بالموصول عين ما أريد بالظالمين في الآية السابقة[5].

([1]) سورة الحج ٢٢ من الآية ٧٢.

([2]) سورة الحج ٢٢ من الآية ٧٢، وتمامها: ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمُنكَرَۖ يَكَادُونَ يَسۡطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَاۗ قُلۡ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكُمُۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾.

([3]) سورة الحج ٢٢ من الآية ٧١، وتمامها: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَمَا لَيۡسَ لَهُم بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٖ﴾.

([4]) ينظر إرشاد العقل السليم لأبي السعود ٤٤/٤. والبحر المديد لابن عجيبة ٥٥٤/٣.

([5]) اختلف في عود الضمير في قوله: ﴿تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ﴾ على قولين: فذهب الجمهور- كالطبري وابن الجوزي والثعالبي- إلى أنه يعود على كفار قريش، بينما ذهب البعض كالإيجي إلى احتمال عوده على أمة النبي محمد ﷺ. جامع البيان للطبري ٦٨٣/١٨. وزاد المسير لابن الجوزي ٤٥١/١٥. والجواهر الحسان للثعالبي ٨٨/٣. وجامع البيان للإيجي ٧١/٣. بتصرف.

وإنما خولف مقتضى السياق، فعدل عن الضمير إلى الموصول؛ للإشعار بأن علة الإنكار هو ما يبطنونه من الكفر، قال أبو حيان: وناب الظاهر مناب المضمر؛ لينبه على – الكفر– العلة الموجبة لظهور المنكر في وجوههم، والمنكرُ المساءةُ والتجهم والبسور والبطش الدالُّ ذلك كله على سوء المعتقد وخبث السريرة؛ لأن الوجه يظهر فيه الترح والفرح اللذان محلهما القلب(١).

ويصح أن تشتمل الآية على ثلاثة أغراض بلاغية أخرى:

أولها: الإشعار بمنتهى الجهالة؛ حيث عبدوا ما لا تصح عبادته عقلا ونقلا، وأظهروا لمن يهديهم إلى الحق البين هذا الإنكارَ الشنيع، قال القاضي البيضاوي: ﴿تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمُنكَرَ﴾: الانكار؛ لفرط نكيرهم للحق، وغيظهم لأباطيلَ أخذوها تقليداً، وهذا منتهى الجهالة، وللإشعار بذلك وضع ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ موضع الضمير، أو ما يقصدونه من الشر(٢).

ثانيها: الإشارة إلى عناد المشركين، قال البقاعي: ﴿تَعۡرِفُ﴾ بالفراسة في وجوههم– هكذا كان الأصل– ولكنه أبدل الضمير بظاهر يدل على عنادهم فقال: ﴿فِي وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي: تلبسوا بالكفر ﴿ٱلۡمُنكَرَ﴾(٣).

---

(١) البحر المحيط ٣٥٨/٦ بتصرف. وينظر حاشية ابن تمجيد على البيضاوي ١١٧/١٣. وحاشية القونوي أيضاً ١١٧/١٣. والتفسير المظهري ٣٤٧/٦. وروح المعاني للآلوسي ١٩٩/١٧. والتحرير والتنوير لابن عاشور ٣٣٥/١٧.

(٢) أنوار التنزيل ٧٩/٤. وينظر إرشاد العقل السليم لأبي السعود ٤٤/٤، ٤٥.

(٣) نظم الدرر ٩٣/١٣.

ثالثها: الشهادة عليهم بالكفر، قال السمين: وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ من إقامة الظاهر مقام المضمر؛ [للشهادة][1] عليهم بذلك[2].

****

سورة المؤمنون

وفيها موضع واحد، وهو:

وضع "الذين لا يؤمنون" موضع الضمير "هم" في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ﴾[3].

الأصل أن يقول ﷻ: "وإنهم عن الصراط لناكبون" بالإضمار تبعا لسياق الآيات السابقة.

قال الطيبي: أقيم المظهر -أي الموصول وصلته- مقام المضمر؛ ليؤذن بأن منكر الحشر ناكبٌ عن الصراط المستقيم الذي هو دين الإسلام، وأن مبنَى دين الإسلام على الإيمان باليوم الآخر[4].

أي تنكبوا وعدلوا عن الصراط المستقيم؛ لعدم إيمانهم بالآخرة.

****

---

(1) من فتح البيان للقنوجي ٨٢/٩. وتفسير حدائق الروح والريحان لمحمد الأمين ٤٤٧/١٨ . وعبارة الدر المصون ٣٠٥/٨: "للزيادة" وهو تصحيف من الناسخ.

(2) الدر المصون ٣٠٥/٨ بتصرف. وينظر حاشية القونوي على البيضاوي ١١٧/١٣. وفتح البيان للقنوجي ٨٢/٩. وتفسير حدائق الروح والريحان لمحمد الأمين ٤٤٧/١٨.

(3) سورة المؤمنون ٢٣ الآية ٧٤.

(4) فتوح الغيب ٦١٢/١٠. وينظر التحرير والتنوير لابن عاشور ٩٨/١٨.

سورة الفرقان

وفيها أربعة مواضع، وهي:

١- وضع "الذين كفروا" موضع واو الفاعل في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ﴾ **الآية** [١].

والمراد بالموصول مشركو مكة على أحد قولين[٢]، وقد ورد الحديث عنهم في الآية السابقة[٣]، حيث قولُه ﷻ: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ﴾[٤].

والأصل: "وقالوا إن هذا إلا إفك" إلخ بالإضمار؛ مراعاة لمقتضى السباق.

---

(١) سورة الفرقان ٢٥ من الآية ٤.

(٢) واختلف المفسرون في القائلين على قولين: الأول: أنهم مشركو مكة أو العرب، وذهب إليه السمرقندي وابن عطية وغيرهما. والثاني: أن القائل هو النضر بن الحارث وأصحابه من المشركين، وإسناد القول في الآية إلى جميع الكفار؛ لرضاهم بما قاله هؤلاء الغلاة المفترون، وهذه طريقة مألوفة في نسبة أمر إلى القبيلة كلها، ومنه قولهم: بنو أسد قتلوا حِجْراً، وذهب إلى القول الثاني البغويُّ وأبو حيان وغيرهما. بحر العلوم للسمرقندي ٤٥٣/٢. ومعالم التنزيل للبغوي ٧٢/٦. والمحرر الوجيز لابن عطية ٢٠٠/٤. والبحر المحيط لأبي حيان ٤٤١/٦. والتحرير والتنوير لابن عاشور ٣٢٢/١٨. بتصرف.

(٣) ينظر جامع البيان للطبري ٢٣٧/١٩. وروح المعاني للآلوسي ٢٣٤/١٨.

(٤) سورة الفرقان ٢٥ من الآية ٣.

قال البقاعي: فقال موضع "وقالوا": ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ مظهراً الوصف الذي حملهم على هذا القول، وهو ستر ما ظهر لهم ولغيرهم كالشمس والاجتهادُ في إخفائه [1].

أي أن كفرهم هو السبب الذي جرأهم على قولهم هذا.

ويصح أن تشتمل الآية على غرضين بلاغيين آخرين، قال أبو السعود: ووضع الموصول موضعَ ضميرهم؛ لذمِّهم بما في حيّز الصِّلةِ، وللإيذانِ بأنَّ ما تفوَّهوا به كفرٌ عظيم[2].

والغرض الأول: الذم بالكفر، والثاني: الإيذان بأن قولهم: "القرآن ليس من عند الله"- كفر.

٢- وضع "مَنْ كذب" موضع الضمير "هم" في قوله تعالى: ﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلسَّاعَةِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾[3].

مقتضى السياق أن يقال: "وأعتدنا لهم".

قال أبو السعود: أي أعتدنا لهم ناراً عظيمةً شديدةَ الاشتعالِ إلخ بسبب تكذيبهم بها على ما يُشعر به وضع الموصول موضعَ ضميرِهم[4] .

---

(1) نظم الدرر ٣٣٨/١٣. وينظر زهرة التفاسير لأبي زهرة ٥٢٤٨/١٠ وعبارته: وقد أظهر هنا- أي الموصول- ولم يذكر الضمير مجردا كالآية السابقة؛ لبيان أن الصلة هي السبب في هذا القول. والتحرير والتنوير لابن عاشور ٣٢٢/١٨.

(2) إرشاد العقل السليم ١٥٧/٤ بتصرف يسير. وينظر روح المعاني للآلوسي ٢٣٤/١٨.

(3) سورة الفرقان ٢٥ الآية ١١.

(4) إرشاد العقل السليم ٣٦٧/٤. وينظر روح البيان لحقي ٥٠/٧. وروح المعاني للآلوسي ٥٢/٢١. وحدائق البيان لمحمد الأمين ٢١٥/٢٢.

أي أعتدنا لهم نارا مُسَّعرة؛ لأنهم كذبوا بيوم القيامة وما فيه.

٣- وضع "الذين لا يرجون" موضع واو الفاعل في قوله تعالى:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ﴾[١].

والمراد بالموصول كفارُ قريش الذين عناهم الله سبحانه بقوله: ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ﴾[٢] الآية[٣].

ومقتضى السياق الإضمار بأن يقال: "وقالوا لولا أنزل علينا الملائكة".

وإنما عدل عن الضمير إلى الموصول؛ للإشعار بعلية ما في حيز الصلة، أي ما حملهم على قولهم إلا عدم رجائهم للقاء الله[٤].

قال أبو السعود: ووضْعُ الموصولِ موضعَ الضميرِ؛ للتنبيهِ بما في حيزِ الصلة على أن ما يُحْكَى عنهم من الشَّناعةِ بحيثُ لا يصدرُ عمَّن يعتقدُ المصيرَ إلى الله[٥].

---

(١) سورة الفرقان ٢٥ من الآية ٢١.

(٢) سورة الفرقان ٢٥ من الآية ٧، وتمامها: ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۙ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا﴾.

(٣) ينظر بحر العلوم للسمرقندي ٤٥٧/٢. والمحرر الوجيز لابن عطية ٢٠٥/٤.

(٤) وقد اختلف المفسرون في هذا الرجاء هل على بابه أو بمعنى الخوف ؟ فذهب إلى الأول ابن عطية، وإلى الثاني الفراء ونسبه إلى لغة تهامة، وجوز القولين معا الزمخشريُّ، فقال: أي لا يأملون لقاءنا بالخير؛ لأنهم كفرة، أو لا يخافون لقاءنا بالشر. معاني القرآن للفراء ٢٦٥/٢. والكشاف للزمخشري ٣٤١/٤. والمحرر الوجيز لابن عطية ٢٠٥/٤. بتصرف.

(٥) إرشاد العقل السليم ١٦٩/٤. وينظر فتوح الغيب للطيبي ٢٠٨/١١. ونظم الدرر للبقاعي ٣٦٧/١١. والبحر المديد لابن عجيبة ٨٨/٤. وروح المعاني للآلوسي ٢/١٩. وزهرة التفاسير لأبي زهرة ٥٢٦٥/١٠.

٤- وضع "الذين كفروا" موضع واو الفاعل في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗ﴾[١].

والمراد بهم المشركون القائلون أولاً: ﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾[٢]، والأصل أن يقال: "وقالوا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة" بناء على ما سبق، وترك الضمير وعبر بالموصول؛ للإشعارِ بعلَّةِ الحُكمِ أو للتنبيه على الوصفِ الذي حملهم على قولهم[٣]، أي أن كفرهم سببُ قولهم.

قال البقاعي: وأظهر -الموصول- في موضع الإضمار؛ تنبيهاً على الوصف الذي حملهم على هذا القول: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي: غطوا- عداوة وحسداً- ما تشهد عقولهم بصحته من أن القرآن كلام الله لإعجازه لهم متفرقاً، فضلاً عن كونه مجتمعاً [٤].

---

(١) سورة الفرقان ٢٥ من الآية ٣٢، وتمامها: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا﴾.

(٢) سورة الفرقان ٢٥ من الآية ٢١، وتمامها: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ لَقَدِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ وَعَتَوۡ عُتُوّٗا كَبِيرٗا﴾.

(٣) ينظر إرشاد العقل السليم لأبي السعود ١٧٥/٤. والبحر المديد لابن عجيبة ٩٧/٤. وروح المعاني للآلوسي ١٤/١٩.

(٤) نظم الدرر ٣٧٨/١٣ بتصرف يسير. وينظر السراج المنير للشربيني ٦٥٩/٢.

ويصح أن تشتمل الآية على غرض بلاغي ثان هو إفادة الذم بعُنوانِ الصلة، قال أبو السعود: وإيرادُهم بعُنوانِ الكفرِ؛ لذمِّهم به[1].

****

سورة النمل

وفيها موضع واحد، وهو:

وضع "الذين كفروا" موضع واو الفاعل في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخۡرَجُونَ﴾[2].

والحديث عن ظاهرة وضع الموصول موضع الضمير في الآية يشتمل على أمرين:

الأمر الأول: هل الآية من قبيل وضع الموصول موضع الضمير؟ فيه خلاف على قولين للمفسرين:

القول الأول: أنها ليست من قبيل وضع الموصول موضع الضمير؛ لأن ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ أعم من ما صدق "مَن" الموصولة في قوله: ﴿لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ﴾[3]، ولذلك عطفت الجملة؛ لأنها غايرت التي قبلها بأنها أعم.

---

(1) إرشاد العقل السليم ١٧٥/٤. وينظر البحر المديد لابن عجيبة ٩٧/٤. وروح المعاني للآلوسي ١٤/١٩.

(2) سورة النمل ٢٧ الآية ٦٧.

(3) سورة النمل ٢٧ من الآية ٦٥.

وهذا ما ذهب إليه ابن عاشور.

وشرح كلامه: أن ضمائر جمع الغائبين في قوله: ﴿يَشْعُرُونَ﴾، و﴿يُبْعَثُونَ﴾، ﴿عِلْمُهُم﴾، ﴿هُمْ فِي شَكٍّ﴾، ﴿هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾ عائدة إلى "مَنْ" الموصولة هذه، و"مَنْ" وإن كانت من صيغ العموم فالضمائر المذكورة عائدة إليها بتخصيص عمومها ببعض مَنْ في الأرض وهم الذين يزعمون أنهم يعلمون الغيب من العرافين والكهان وسدنة الأصنام الذين يستقسمون بالأزلام، وهو تخصيص لفظي(١) بدلالة السياق(٢) (٣) إلخ.

---

(١) التخصيص هو: قصر العام على بعض أفراده. وينقسم إلى قسمين: تخصيص باللفظ كالتخصيص بالسياق، ومثاله سيأتي. وتخصيص بغير اللفظ كالتخصيص بالعقل عند الجمهور، كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾، المراد به أن الله خالق كل شيء ما عدا ذاته وصفاته؛ لأن العقل قد دل على أن واجب الوجود لا يندرج في المراد بهذا العموم. العقد المنظوم في الخصوص والعموم للقرافي ٢٨٩/٢. وحاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع ٤٧/٢. والفرق بين اللغويين والأصوليين صـ٣٧٣. بتصرف.

(٢) دلالة أو قرينة السياق أو المقام وغيرها من المرادفات: هي ما يؤخذ من لاحق الكلام وسابقه؛ دلالةً على خصوص المقصود، ومثاله قوله تعالى: ﴿وَسۡـَٔلۡهُمۡ عَنِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَتۡ حَاضِرَةَ ٱلۡبَحۡرِ﴾، فإن السياق أرشد إلى أن المراد أهلُها وهو قوله: ﴿إِذۡ يَعۡدُونَ فِي ٱلسَّبۡتِ﴾؛ فإن القرية لا تكون عادية ولا فاسقة، وإنما أهلها كذلك. الرسالة للإمام الشافعي ٦٢/١. وحاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع ٣٠/١. بتصرف.

(٣) ينظر التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٣/٢٠، ٢٤.

القول الثاني: أن الآية من قبيل وضع الموصول موضع الضمير، وليس كما قال ابن عاشور.

وهذا هو رأي جمهور المفسرين[1].

لأن رجوع الضمير إلى بعض أفراد العام لا يخصصه على أحد الأقوال؛ لأن العام مظهر والأصل بقاؤه على عمومه، ودلالة المظهر أقوى من دلالة المضمر[2].

الأمر الثاني: شرح ظاهرة وضع الموصول موضع الضمير في الآية:

المراد بالموصول مشركو مكة[3]، والأصل أن يقال في غير القرآن: "وقالوا أءِذا كنا ترابا" إلخ جريا على أسلوب الضمائر في قوله ﷻ: ﴿وَمَا

([1]) ومنهم: الطيبي في فتوح الغيب ٥٧٤/١١. وأبو السعود في إرشاد العقل السليم ٢٧٧/٤. والآلوسي في روح المعاني ١٥/٢٠.

([2]) وهذه المسألة محل نزاع بين الأصوليين وهي: أن اللفظ العام إذا عقب بما فيه ضمير عائد إلى بعض العام المتقدم هل يكون مخصصاً للعام المتقدم بما الضمير عائد إليه أو لا ؟ فذهب الجمهور إلى امتناع تخصيصه بذلك، وذهب الحنفية إلى تخصيص عمومه، وذهب جماعة منهم إمام الحرمين وأبو الحسين البصري إلى التوقف، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ﴾ فإنه عام في كل الحرائر المطلقات ثم قال: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾ فإن الضمير فيه إنما يرجع إلى الرجعيات دون البوائن. المعتمد لأبي الحسين البصري ٣٠٦/١، ٣٠٧. والإبهاج شرح المنهاج لتقي الدين السبكي ٢١٣/٢، ٢١٤. وتيسير التحرير لأمير باد شاه ٣٢٠/١. وإجابة السائل للصنعاني صـ٣١٧، ٣١٨.

([3]) وكون القائلين كفار مكة- ذهب إليه عامة المفسرين كالواحدي في التفسير الوسيط ٣٨٣/٣، والبغوي في معالم التنزيل ١٧٤/٦، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٢٢٨/١٣.

يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾[1].

فالله ﷻ بعد أن ذكر أنه منفرد بعلم الغيب، ومن جملته وقت الساعة، وأنهم لا شعور لهم بوقتها، وأن هؤلاء الكفار في شك منها عمون- ناسب ذكر مقالاتهم في استبعادها، وأن ما وعدوا به من ذلك ليس بصحيح، إنما ذلك ما سطر الأولون من غير أن يكون إخباراً عن حقيقة[2].

وإنما عدل في الآية عن الضمير إلى الموصول؛ للإشعار بعلية ما في حيز الصلة للقول، قال الطيبي: وضع ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ موضع المضمر؛ للإشعار بأن هذا القول إنما صدر عنهم؛ لتماديهم في الكفر[3].

أي أن كفرهم هو سبب قولهم: ﴿أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَإِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾[4].

فكأنه قيل: وقالوا بكفرهم: أءذا كنا ترابا إلخ.

ويصح أن تشتمل الآية على أغراض بلاغية أخرى، منها:

([1]) سورة النمل ٢٧ من الآية ٦٥، ٦٦.

([2]) ينظر البحر المحيط لأبي حيان ٨٩/٧.

([3]) فتوح الغيب ٥٧٤/١١. وينظر إرشاد العقل السليم لأبي السعود ٢٧٧/٤. وروح المعاني للآلوسي ١٥/٢٠. والتحرير والتنوير لابن عاشور ٢٤/٢٠ وعبارته: والتعبير عنهم- أي الزاعمين علم الغيب- باسم الموصول؛ لما في الموصول من الإيماء إلى علة قولهم هذه المقالة وهي ما أفادته الصلة من كونهم كافرين.

([4]) سورة النمل ٢٧ من الآية ٦٧، ٦٨.

أولا: الذم بما في حيز الصلة وهو الكفر والجحود، قال أبو السعود: ووضعُ الموصول موضع ضميرهم؛ لذمِّهم بما في حيزِ صلته؛ والإشعارِ بعلَّة حكمِهم الباطلِ في قولهم [1].

ثانيا: تعليق الحكم على الوصف، قال البقاعي: وكان الأصل: وقالوا، ولكنه قال: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ أي ستروا دلائل التوحيد والآخرةِ التي هي أكثر من أن تحصى وأوضح من الضياء؛ تعليقاً للحكم بالوصف، مستفهمين استفهام المستبعد المنكر: ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ﴾[2].

أي كل من قال قولهم منكراً البعث والخروج من القبور بعد الموت– كان كافراً منكراً الآخرة وما فيها.

ثالثا: استغراق المادة لأولاء المنكرين وعدم إيمانهم إلا بها، قال الشيخ أبو زهرة: وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ كان الإظهار في موضع الإضمار، فلم يقل: وقالوا؛ لأن مضمون الصلة وهي الجحود والكفر يعنِي الإنكارَ واستغراقَ المادة لهم، حتى إنهم لا يفكرون قط في أمر معنوي، ولا أمر غيبي، فقد استغرقتهم المادة حتى صاروا لا يؤمنون إلا بها[3].

([1]) إرشاد العقل السليم ٢٧٧/٤. وينظر روح المعاني للآلوسي ١٥/٢٠.

([2]) نظم الدرر ٢٠٥/١٤.

([3]) زهرة التفاسير ٥٤٧٩/١٠ بتصرف.

ورابعا: البيان بعد الإجمال، قال المظهري: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾ عطف على مضمون قوله تعالى: ﴿بَلۡ هُمۡ مِّنۡهَا عَمُونَ﴾ وكالبيان[1] له، وضع المظهر هاهنا موضع الضمير ولم يقل: وقالوا؛ لكون ذكر الكافرين مجملاً فيما سبق[2].

*****

سورة العنكبوت

وفيها موضع واحد، وهو:

وضع "الذين آمنوا" موضع الضمير الغائب المستتر في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ ﴾[3].

([1]) المبيَّن هو: ما له دلالة واضحة على المعنى كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴾، فإنه يدل على إحاطة علم الله بكل شيء- من جهة وضع اللغة- فلا يحتاج في بيانه إلى قول أو فعل. والمجْمَل هو: ما له دلالة غير واضحة على معناه لسبب من الأسباب، كالاشتراك وغيره، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖ ﴾، فإن القرء مشترك بين الطهر والحيض، فاكتسب التركيب نوعا من عدم اتضاح الدلالة. منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي صـ٦١-٦٣. وحاشية العطار على شرح جمع الجوامع ٩٣/٢. بتصرف.

([2]) التفسير المظهري ١٢٩/٧.

([3]) سورة العنكبوت ٢٩ من الآية ٧.

والمقام للإضمار بأن يقال: ولنكفرن عنهم سيئاتهم إلخ، بناء أن الآية معطوفة على قوله ﷻ: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ﴾[1].

وإنما عدل عن الضمير إلى الموصول؛ للإشعار بعلية الصلة للجزاء الحسن، قال ابن عاشور: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ إلخ يجوز أن يكون عطفا على جملة: ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَا﴾[2]؛ لما تضمنته الجملة المعطوف عليها من التهديد والوعيد، فعطف عليها ما هو وعد وبشارة للذين آمنوا وعملوا الصالحات إلخ. ويجوز أن تكون عطفا على جملة: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ﴾ وسلك بها طريق العطف باعتبار ما أومأ إليه الموصول وصلته من أن سبب هذا الجزاء الحسن هو أنهم آمنوا وعملوا الصالحات، وهو على الوجه إظهار في مقام الإضمار؛ لنكتة هذا الإيماء[3].

****

(1) السورة السابقة من الآية ٦.

(2) سورة العنكبوت ٢٩ من الآية ٤.

(3) التحرير والتنوير ٢١١/٢٠، ٢١٢.

سورة الروم

وفيها ثلاثة مواضع، وهي:

١- وضع "الذين أساءوا" موضع الضمير "هم" في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾[١].

والأصل: "ثم كان عاقبتُهم السُّوأى[٢]" بالإضمار، بناء على أن المراد بـ ﴿ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟﴾ الأممُ الذين أثاروا الأرض وعمروها[٣] في قوله ﷻ: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾[٤].

وإنما عدل عن الأصل وهو الضمير؛ لأربعة أغراض بلاغية:

أولها- وأشهرها-: الإشعار بالعلية، قال الطيبي: ووُضع ﴿ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟﴾ موضعَ الضَّمير؛ لبيان العلَّة[٥].

---

(١) سورة الروم ٣٠ الآية ١٠.

(٢) والسُّوأى: فُعْلَى، تأنيث الأسوأ، وهي صفة لمصدر محذوف، والتقدير: أساءوا الإساءة السوأى، وإن جعلتها اسما أو خبرا كان التقدير: الفعلة السوأى، أو العقوبة السوأى. التبيان للعكبَري ١٠٣٨/٢ . والسوأى مقابل الحسنى تأنيث الأحسن.

(٣) ينظر التحرير والتنوير لابن عاشور ٦٠/٢١.

(٤) سورة الروم ٣٠ من الآية ٩.

(٥) فتوح الغيب ٢١٧/١٢. وينظر أنوار التنزيل ٢٠٣/٤ وعبارته: فوضع الظاهر موضع الضمير؛ للدلالة على ما اقتضى أن تكون تلك عاقبتهم وأنهم جاءوا بمثل أفعالهم. ونظم الدرر للبقاعي ٥٣/١٥. وإرشاد العقل السليم لأبي السعود ٣٥٣/٤. والبحر المديد لابن ==

أي أنهم عوقبوا في الدنيا بالدمار، ثم كانت عاقبتهم في الآخرة الأسوأ وهى جهنم(١)، بسبب إساءتهم.

ثانيها: تسجيل الإساءة على المسيء، قال أبو السعود: ﴿ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟﴾ أي عملوا السيئات، وُضع الموصولُ موضعَ ضميرِهم؛ للتَّسجيلِ عليهم بالإساءةِ؛ والإشعارِ بعلَّةِ الحكمِ(٢).

ثالثها: تعميم العقوبة لمن اتصف بالإساءة، قال البقاعي: ﴿ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟﴾ أظهر موضع الإضمار؛ تعميماً؛ ودلالة على السبب(٣).

رابعها: التوصل إلى الحكم بما في حيز الصلة، قال ابن عاشور: ويحتمل أن يراد بـ ﴿ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟﴾ الأممُ الذين أثاروا الأرض وعمروها، فتكون من وضع الظاهر موضع المضمر؛ توصلاً إلى الحكم عليهم بأنهم أساءوا واستحقوا السوأى وهي جهنم(٤).

==

عجيبة ٣٢٨/٤، والتفسير المظهري ٢٢٤/٧ وعبارتهما قريبة من عبارة القاضي البيضاوي. وروح المعاني للآلوسي ٢٤/٢١.

(١) ينظر الكشاف للزمخشري ٥٦٧/٤. ومن القائلين بأن السوأى جهنم- ابن قتيبة في غريب القرآن صـ٣٤٠، والزجاج في معاني القرآن ١٧٩/٤، والأزهري في معاني القراءات ٢٦٣/٢، ونسبه إلى أكثر المفسرين القِنَّوجي في فتح البيان ٢٣١/١٠. ومنهم الطبري في جامع البيان ٧٩/٢٠. وابن عطية في المحرر الوجيز ٣٣١/٤. وأبو حيان في البحر ١٦٠/٧.

(٢) إرشاد العقل السليم ٣٥٣/٤. وينظر روح المعاني للآلوسي ٢٤/٢١.

(٣) نظم الدرر ٥٣/١٥.

(٤) التحرير والتنوير ٦٠/٢١.

٢- وضع "الذين أجرموا" موضع الضمير "هم" في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمۡنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْۖ﴾[١].

مقتضى السياق أن يقال: "فانتقمنا منهم" .

قال أبو السعود: ﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْۖ﴾ أي فكذَّبُوهم فانتقمنَا منهم، وإنَّما وضع الموصولُ موضع ضميرِهم؛ للتنبيه على مكانِ المحذوفِ؛ والإشعارِ بكونِه علَّةً للانتقامِ[٢].

وبهذا يتحقق في الآية غرضان بلاغيان: الأول: التنبيه على مكان المحذوف وهو فكذبوهم، والثاني: الإشعار بعليته أي: فانتقمنا منهم؛ لأجل إجرامهم وتكذيبهم.

٣- وضع "الذين كفروا" موضع الضمير الغائب المستتر في قوله تعالى: ﴿لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُبۡطِلُونَ﴾[٣].

وحق العبارة: "ليقولَنَّ إن أنتم إلا مبطلون" بناء على أن المراد بالذين كفروا عين ما أريد بالناس في الآية، وهم كفار مكة[٤].

---

(١) سورة الروم ٣٠ من الآية ٤٧.

(٢) إرشاد العقل السليم ١٧١/٤. وينظر البحر المديد لابن عجيبة ٨١/٤. وروح المعاني للآلوسي ٢٤١/١٨. وزهرة التفاسير لأبي زهرة ٥٢٥٦/١٠.

(٣) سورة الروم ٣٠ من الآية ٥٨، وتمامها: ﴿وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖۚ وَلَئِن جِئۡتَهُم بِـَٔايَةٖ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُبۡطِلُونَ﴾.

(٤) والقول بأن المراد بالموصول المشركون من كفار مكة- ذهب إليه المفسرون بلا خلاف، ومن أشهرهم: السمرقندي في بحر العلوم ١٧/٣. والواحدي في التفسير البسيط ٨٧/١٨.

قال الآلوسي: ﴿لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ إلخ والإتيان بالموصول دون الضمير؛ لبيان السبب الحامل على القول المذكور، وإذا أريد بالناس ما يعم الكفرة وغيرَهم فوجه الإظهار ظاهر(١).

فكفرهم هو علة قولهم للرسول ﷺ والمؤمنين: إن أنتم إلا مبطلون أي متبعون الباطل(٢).

****

سورة السجدة

وفيها موضع واحد، وهو:

وضع "الذين كفروا" موضع الضمير "هم" في قوله تعالى: ﴿قُلۡ يَوۡمَ ٱلۡفَتۡحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمۡ﴾(٣).

ومقتضى السياق أن يكون: قل يوم الفتح لا ينفعهم إيمانهم" بناء على أن المراد بالموصول المستهزئون القائلون: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡفَتۡحُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾(٤) (٥).

---

(١) روح المعاني ٦١/٢١. وينظر حدائق الروح والريحان لمحمد الأمين ٢١٤/٢٢.

(٢) ينظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤٩/١٤. وروح المعاني للآلوسي ٦١/٢١.

(٣) سورة السجدة ٣٢ من الآية ٢٩.

(٤) السورة السابقة من الآية ٢٨.

(٥) اختلف المفسرون في المراد بالموصول في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ تبعاً لاختلافهم في المراد بيوم الفتح على قولين: فمن ذهب- وهم الجمهور كالطبري وأبي حيان- إلى أن ==

ووضع الموصول موضع الضمير؛ للإشعار بعلة الحكم، قال الشهاب الخفاجي: وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ إن عمّ غير المستهزئين فهو تعميم بعد تخصيص، وإن خُصَّ بهم فإظهار في مقام الإضمار؛ تسجيلاً لكفرهم؛ وبياناً لعلة عدم النفع وعدم إمهالهم(١).

وبهذا يتحقق في الآية غرضان بلاغيان: التسجيل بالكفر، والإشعار بعليته أي أن كفرهم هو علة عدم نفع الإيمان بعد الموت، وأيضاً علة عدم إمهالهم؛ ليتوبوا ويعتذروا.

ويصح أن تشتمل الآية على غرض بلاغي آخر، هو التعميم لتعليق الحكم بالوصف، قال البقاعي: معنى ﴿لا﴾ ينفعكم -هكذا كان الأصل- ولكنه أظهر الوصف؛ تعميماً وتعليقاً للحكم به فقال: ﴿يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾

==

يوم الفتح هو يوم القيامة- قال: المراد بـ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ عمومُ الكفار. ومن ذهب- وهم البعض كالفراء وابن قتيبة- إلى أنه يوم فتح مكة أو بدر- قال: المراد بـ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ المقتولون منهم يومئذ على الكفر، فإنهم لا ينفعهم إيمانهم بعد الموت ولا يُمْهَلُون ليتوبوا، كما لم ينفع فرعونَ إيمانُه عند إدراك الغرق؛ لأنه إيمان اضطرار. معاني الفراء ٣٣٣/٢. وغريب القرآن لابن قتيبة صـ٣٤٧. وجامع البيان للطبري ١٩٨/٢٠. والبحر المحيط لأبي حيان ٢٠٠/٧. وروح المعاني للآلوسي ١٤٠/٢١، ١٤١. بتصرف.

(١) عناية القاضي ١٥٥/٧. وينظر روح المعاني للآلوسي ١٤٠/٢١. وفتح البيان للقنوجي ٣٦/١١. وحدائق الروح والريحان لمحمد الأمين ٣٩٨/٢٢. والتحرير والتنوير لابن عاشور ٢٤٣/٢١.

أي: غطوا آيات ربهم التي لا خفاء بها، سواءٌ في ذلك أنتم وغيركم ممن اتصف بهذا الوصف ﴿إِيمَٰنُهُمۡ﴾ إلخ[1].

أي أن كل من كفر لا ينفعه إيمانه بعد الموت ولا يؤخر للتوبة؛ مصداقا لقوله ﷻ: ﴿وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌ﴾[2].

****

سورة سبأ

وفيها موضع واحد، وهو:

وضع "الذين لا يؤمنون" موضع الضمير "هم" في قوله تعالى:
﴿بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ فِي ٱلۡعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلۡبَعِيدِ﴾[3].

وأصل السياق: بل هم- أي هؤلاء القائلون[4] الكافرون بالبعث[5]- في العذاب والضلال البعيد.

([1]) نظم الدرر ١٥/٢٧١.

([2]) سورة النساء ٤ من الآية ١٨.

([3]) سورة سبأ ٣٤ من الآية ٨.

([4]) قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ ۝٧ أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةُۢ﴾ الآية ٧، ٨ سورة سبأ ٣٤.

([5]) ينظر الكشاف للزمخشري ٥/١٠٨.

وإنما عدل عن الضمير إلى الموصول؛ لأربعة أغراض بلاغية:

أولها وهو الأشهر: الإشعار بعلية الصلة للحكم، أي عدم إيمانهم بالآخرة وما فيها- هو سبب ما اجترأوا عليه من قولهم الشنيع المذكور في الآية السابقة، قال أبو السعود: ووضعُ الموصولِ موضعَ ضميرهم؛ للتنبيهِ بما في حيزِ الصلة على أن علة ما ارتكبوه واجترأوا عليه من الشَّناعةِ الفظيعةِ- كفرُهم بالآخرة وما فيها من فنون العقاب، ولولاه لما فعلُوا ذلك خوفاً من غائلتِه[1][2].

ثانيها: ليفهم أن من الكافرين قسماً ضلوا ضلالا قريبا يمكن انفكاكهم عنه وهم الذين آمنوا بعد كفرهم، قال البقاعي: وعلم أن من الذين كفروا قسماً لم يُطبَعوا على الكفر، فضلوا ضلالاً قريباً يمكن انفكاكهم عنه، وهم الذين آمنوا منهم بَعْدُ، وهو من بديع القول، حيث عبر بهذا الظاهر- الذي أفهم ذاك التقسيم- موضعَ الإضمار الذي كان حقه: بل هم في كذا[3].

ثالثها: التوبيخ للقائلين المنكرين للبعث، قال الآلوسي: وضع ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ موضع الضمير؛ توبيخاً لهم وإيماءً إلى سبب الحكم بما بعده[4].

رابعها: إدماج[5] التهديد للقائلين المنكرين للبعث، قال ابن عاشور: وعدل عن عن أن يقال: بل أنتم في العذاب والضلال إلى ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾؛

---

(1) أي عاقبته، قال الزبيدي: الغائلة: الشر. تاج العروس ١٣٩/٣٠، مادة: غيل.

(2) إرشاد العقل السليم ٤٤٤/٤. وينظر روح البيان لحقي ٢٦٣/٧. وروح المعاني للآلوسي١١١/٢٢. وحدائق الروح والريحان لمحمد الأمين ٢٢٦/٢٣.

(3) نظم الدرر ٤٥٣/١٥.

(4) روح المعاني ١١١/٢٢.

(5) الإدماج: أن يضمن المتكلم كلاما ساقه لمعنى- معنىً آخر لم يصرح به. ومثاله من من التنزيل قوله تعالى: ﴿لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾، فإن الغرض منها إثبات تفرده تعالى بوصف الحمد، وأدمج فيه الإشارة إلى البعث والجزاء. الإيضاح للقزويني صـ٢٨٣. وأنوار الربيع لابن معصوم ٢٧٩/٦. بتصرف.

إدماجًا لتهديدهم[1].

فالمدْمَجُ فيه ظاهر وهو إثبات عدم إيمانهم بالآخرة، والمدْمَجُ معنى خفي وهو الإشارة إلى تهديدهم.

****

سورة فاطر

وفيها موضع واحد، وهو:

وضع "الذين كفروا" موضع الضمير "هم" في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾[2].

ورد الحديث عن ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ في الآية السابقة، إذ قد كان سياق الحديث عن كفار الأمم الخالية قبل كفار مكة[3]، قال ﷻ: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾[4].

والأصل أن يقال: "ثم أخذتُهم"، ونظيره قوله ﷻ: ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾[5].

---

(1) التحرير والتنوير ٢٢/١٥١.

(2) سورة فاطر ٣٥ الآية ٢٦.

(3) ينظر المحرر الوجيز لابن عطية ٤/٤٣٦. والبحر المحيط لأبي حيان ٧/٢٩٦.

(4) سورة فاطر ٣٥ الآية ٢٥.

(5) سورة الرعد ١٣ من الآية ٣٢.

ولكن عدل عن الأصل وكرر الموصول ولم يكتف بالضمير؛ للإشعار بالعلية، قال أبو السعود: ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ وضِعَ الموصولُ موضعَ ضميرِهم؛ لذمِّهم بما في حيز الصلةِ؛ والإشعارِ بعلَّةِ الأخذِ[1].

وبهذا يتحقق في الآية غرضان بلاغيان: الأول: الذم بالكفر؛ لأن تكذيب الرسل كفر[2]، والثاني- وهو الأشهر-: الإشعار بأن أخذهم وعقابهم؛ لأجل ما في حيز الصلة من أنهم كفروا.

****

سورة ص

وفيها موضع واحد، وهو:

وضع الذين كفروا موضع الضمير "هم" في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾[3].

سبق ذكر الموصول في الآية، فكان مقتضى السياق: فويل لهم من النار.

وإنما عدل عن الضمير إلى الموصول؛ لغرضين بلاغيين:

---

(1) إرشاد العقل السليم ٤/٤٨١. وينظر روح البيان لحقي ٧/٣٤١. وفتح القدير للشوكاني ٤/٣٩٧. وروح المعاني للآلوسي ٢٢/١٨٨. وفتح البيان للقِنَّوجي ١١/٢٤٢. وحدائق الروح والريحان لمحمد الأمين ٢٣/٤٣٣. والتحرير والتنوير لابن عاشور ٢٢/٢٩٩.

(2) ينظر تأويلات أهل السنة للماتُريدي ٤/١٧٨.

(3) سورة ص ٣٨ الآية ٢٧.

أولهما وأشهرها: الإشعار بالعلية، أي: هذا الويل والنار لهم بسبب ظنهم الباطل وكفرهم.

قال أبو السعود: وُضِعَ الموصولُ موضعَ ضميرِهم؛ للإشعار بما في حيز الصلة بعلية كفرهم للويل، ولا تنافى بينهما؛ لأنَّ ظنَّهم من باب كُفرِهم(١).

ولا تنافي بين ظنهم الباطل وكفرهم؛ لأن ظنهم هذا من باب كفرهم أو نتيجة له.

ثانيهما: قصد التعميم لمن اتصف بالوصف، قال البقاعي: وأظهر في موضع الإضمار؛ تعميماً؛ وتعليقاً للحكم بالوصف فقال: ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي مطلقاً بهذا الظن وبغيره ﴿مِنَ﴾ أي مبتدأ من ﴿ٱلنَّارِ﴾ أي الحكم عليهم بها(٢).

****

(١) إرشاد العقل السليم ٥٧٤/٤ بتصرف. وينظر والبحر المديد لابن عجيبة ٢١/٥. وروح المعاني للآلوسي١٨٨/٢٣. وفتح البيان للقِنَّوجي ٣٥/١٢. وحدائق الروح لمحمد الأمين ٤٢٤/٢٤. والتحرير والتنوير لابن عاشور ٢٤٨/٢٣، ٢٤٩.

(٢) نظم الدرر ٣٧٢/١٦.

سورة فصلت

وفيها أربعة مواضع، وهي:

١- وضع "الذين كفروا" موضع واو الفاعل في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ﴾[١].

ومقتضى السياق أن يقول: وقالوا لا تسمعوا " إلخ؛ بناء على أنه معطوف على قوله: ﴿فَزَيَّنُواْ لَهُم﴾[٢]**، أو قولِه:** ﴿فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ﴾[٣]**، أي: فأعرضوا وقالوا لا تسمعوا**[٤].

وخولف مقتضى السياق فعدل عن الضمير إلى الموصول[٥]**؛ تنبيها على أن ما في حيز الصلة من كفرهم هو علة إعراضهم وقولهم، قال البقاعي: وقالوا – هكذا كان الأصل– ولكنه قال؛ تنبيهاً على الوصف الذي**

---

(١) سورة فصلت ٤١ من الآية ٢٦.

(٢) سورة فصلت ٤١ من الآية ٢٥، وتمامها: ﴿وَقَيَّضۡنَا لَهُمۡ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ﴾.

(٣) سورة فصلت ٤١ من الآية ٤.

(٤) ينظر نظم الدرر للبقاعي ١٧٨/١٧. والسراج المنير للشربيني ٥١٥/٣. والتحرير والتنوير لابن عاشور ٢٧٦/٢٤.

(٥) والمراد بالموصول هنا كفار قريش كأبي جهل وغيره– بلا خلاف عند المفسرين، ومن أشهرهم الطبري في جامع البيان ٤٦٠/٢١. والبغوي في معالم التنزيل ١٧١/٧، وابن عطية في المحرر الوجيز ١٣/٥.

أوجب إعراضهم: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي: ستروا ما دلتهم عليه عقولهم من الحق[1].

٢- وضع "الذين كفروا" موضع الضمير "هم" في قوله تعالى: ﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾[2].

والمقام للإضمار بأن يقال: فلنذيقنهم عذابا شديداً إلخ بناء على أن المراد بالموصول هؤلاء اللاغون والآمرون باللغو[3] في قوله ﷻ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ﴾[4].

وإنما عدل عن الضمير إلى الموصول؛ للإشعار بعلية الصلة لإذاقة العذاب، قال الآلوسي: ﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي: فوالله لنذيقن هؤلاء

---

(١) نظم الدرر ١٧٨/١٧. وينظر السراج المنير للشربيني ٥١٥/٣.

(٢) سورة فصلت ٤١ من الآية ٢٧.

(٣) اختلف المفسرون في المراد بالموصول في قوله ﷻ: ﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ على ثلاثة أقوال: الأول: بعض مشركي قريش كأبي جهل وأصحابه وهم القائلون وهؤلاء اللاغون، وذهب إليه الطبري وابن عطية وغيرهما. الثاني: جميع الكفار ويدخل فيهم القائلون السابقون دخولا أولياً، وذهب إليه الشوكاني والقِنَّوجي. والثالث: احتمال الموصول للقولين، وذهب إليه الزمخشري والبيضاوي وغيرهما. جامع البيان للطبري ٤٦١/١. والكشاف للزمخشري ٣٨٠/٥. والمحرر الوجيز لابن عطية ١٣/٥. وأنوار التنزيل للبيضاوي ٧٠/٥. وفتح القدير للشوكاني ٦٧٤/٤. وفتح البيان للقنوجي ٢٤٦/١٢. بتصرف.

(٤) سورة فصلت ٤١ من الآية ٢٦.

القائلين، والإظهار في مقام الإضمار؛ للإشعار بالعلية، أو جميع الكفار وهم يدخلون فيه دخولاً أولياً[١].

ويصح أن تشتمل الآية على أغراض بلاغية أخرى:

أولها: قصد التعميم؛ لتعليق الحكم على الوصف، قال الشربيني: ﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ إلخ أصله فلنذيقنهم، لكنه أظهر؛ تعميماً وتعليقاً بالوصف ﴿عَذَابًا شَدِيدًا﴾[٢].

فكل من كفر منهم أو غيرهم- ذاق العذاب الشديد وجوزي بأسوأ جزاء.

ثانيها: تسجيل الكفر عليهم، قال المظهري: ﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ وضع المظهر موضع الضمير؛ تسجيلا للكفر؛ وللدلالة على شمول هذا الحكم لهم ولغيرهم[٣].

٣- وضع "الذين كفروا" موضع الضمير "هم" في قوله تعالى: ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾[٤].

أصل السياق: "فلننبئنهم بما علموا"؛ مراعاة للسباق في قوله ﷻ: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾[٥]، فالمراد بالإنسان الجنس.

---

(١) روح المعاني ١١٩/٢٤. وينظر فتوح الغيب للطيبي ٦٠٠/١٣. والتحرير والتنوير ٢٧٨/٢٤، ٢٧٩.

(٢) السراج المنير ٥١٥/٣.

(٣) التفسير المظهري ٢٩١/٨.

(٤) سورة فصلت ٤١ من الآية ٥٠.

(٥) السورة السابقة من الآية ٤٩.

قال ابن عاشور: وقول: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إظهار في مقام الإضمار، ومقتضى الظاهر أن يقال: ولننبئنهم بما عملوا، فعدل إلى الموصول وصلته؛ لما تؤذن به الصلة من علة استحقاقهم إذاقة العذاب بما عملوا [1].

أي ذاقوا العذاب بسبب كفرهم.

ويصح أن تشتمل الآية على غرض بلاغي ثان هو التصريح بالعموم، قال البقاعي: ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ﴾ أي تنبئة عظيمة إلخ، وجعل موضع الضمير الوصف؛ تصريحاً بالعموم؛ وبياناً للعلة الموجبة فقال: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أي: ستروا ما دلت عليه العقول، وأوجبته صرائح النقول، من إقامة الساعة لإظهار جلاله وجماله، ومن أنه تعالى يُجِلُّ بالإنسان السراء والضراء؛ ليخافه ويرجوَه ويشكرَه ويدعوَه ﴿بِمَا عَمِلُوا ﴾ لا ندع منه قليلاً ولا كثيراً صغيراً ولا كبيراً إلخ، ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمَ﴾ بعد إقامة الحجة عليهم إلخ ﴿مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ لا يدع جهة من أجسامهم ولا قواهم إلا أحاط بها ولا تقوى على دفعه قواهم[2].

٤- **وضع "مَنْ هو" موضع كاف الخطاب في قوله**: ﴿مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾[3]؟

([1]) التحرير والتنوير ١٣/٢٥ بتصرف. وينظر نظم الدرر للبقاعي ٢٢٠/١٧.

([2]) نظم الدرر ٢٢٠/١٧.

([3]) سورة فصلت ٤١ من الآية ٥٢.

مقتضى الظاهر: "من أضل منكم" مراعاة لسياق الخطاب، وهو موجه لكفار مكة [1].

وخولف مقتضى الظاهر، فعدل عن الضمير إلى الموصول؛ لعلية ما في حيز الصلة، أي أن خلافهم البعيد عن الحق غاية البعد- سببه مزيد ضلالهم وكفرهم، قال القاضي البيضاوي: فوضع الموصول موضع الضمير؛ شرحاً لحالهم؛ وتعليلاً لمزيد ضلالهم[2].

([1]) والقول بأن الخطاب في الآية لكفار قريش- ذهب إليه المفسرون، ومن أشهرهم: ابن عطية في المحرر الوجيز ٢٣/٥. والخازن في لباب التأويل ٩٥/٤. وأبو حيان في البحر المحيط ٤٨٣/٧ .

([2]) أنوار التنزيل ٧٥/٥. وينظر الكشاف للزمخشري ٣٩٠/٥ وعبارته: وقوله تعالى: ﴿مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ موضوع موضع "منكم"؛ بيانا لحالهم وصفتهم. ومفاتيح الغيب للرازي ١٣٩/٢٧، وعبارته: "وصفاتهم" بدل عبارة الزمخشري: وصفتهم. ومدارك التنزيل للنسفي ٢٤٢/٣، واللباب لابن عادل ١٥٧/١٧، وعبارتهما نفس عبارة الزمخشري. وغرائب القرآن للنيسابوري ٦٣/٦ نقلا عن الكشاف. والجلالَين صـ٦٣٧ وعبارته قريبة من عبارة الكشاف. وجامع البيان للإيجي ٥٢/٤ وعبارته: أي "من أضل منكم"؟ فوضع موضعه؛ ليكون تعليلاً لكمال الضلال. وإرشاد العقل السليم ٥٢/٥، وروح البيان لحقي ٢٨٠/٨، والبحر المديد لابن عجيبة ١٨٩/٥، والتفسير المظهري ٣٠٥/٨، وعبارتهم نفس عبارة البيضاوي. وفتح القدير للشوكاني ٦٨٤/٤، ٦٨٥ وعبارته: والأصل "أيُّ شيء أضل منكم"؟ فوضع ﴿مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ﴾ موضع الضمير؛ لبيان حالهم في المشاقة، وأنها السبب الأعظم في ضلالهم. وروح المعاني للآلوسي ٥/٢٥ وعبارته نفس عبارة البيضاوي. والتحرير والتنوير ١٧/٢٥ وعبارته: و"مَنْ" الثانية موصولة وما صدقها المخاطبون بقوله: ﴿كَفَرْتُم بِهِۦ ﴾، فعدل عن الإضمار إلى طريق الموصول؛ ==

وبهذا يتحقق في الآية غرضان بلاغيان مشهوران عند المفسرين: الأول: شرح الحال والصفة وهو بيان لبعد شوطهم في الشقاق والخلاف، والغرض الثاني: تعليل الضلال.

ويصح أن تشتمل الآية على غرض ثالث هو أنهم تعرضوا للعقوبة والهلاك، حين صاروا في شقاق بعيد، قال البقاعي: ﴿مَنْ أَضَلُّ﴾: منكم – هكذا كان الأصل– ولكنه قال: ﴿مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ﴾ إلخ؛ تنبيهاً على أنهم صاروا كذلك، وأن من صار كذلك فقد عرض نفسه لسطوات الله تعالى التي من واقعته هلك لا محالة إلخ [1].

****

==

لما تأذن به الصلة من تعليل أنهم أضل الضالين بكونهم شديدي الشقاق، وذلك كناية عن كونهم أشد الخلق عقوبة؛ لما هو معلوم من أن الضلال سبب للخسران.

([1]) نظم الدرر ٢٢٤/١٧ بتصرف. وينظر السراج المنير للخطيب ٥٢٥/٣.

سورة الأحقاف

وفيها موضعان، وهما:

١- وضع "الذين كفروا" موضع واو الفاعل في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾[١].

ومقتضى السياق: وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا" بناء على احتمال أن قوله ﷻ: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ معطوف على قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴾[٢][٣]، وأن المراد بالموصول المتلو عليهم وهم المشركون[٤].

وخولف مقتضى السياق، فعدل عن الضمير إلى الموصول؛ لإثبات أن كفرهم هو علة قولهم عن القرآن: ﴿هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾.

قال البقاعي: قالوا -هكذا كان الأصل- ولكنه بيّن الوصف الحامل لهم على القول فقال: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ أي: ستروا تلك الأنوار التي أبرزتها تلك التلاوة[٥].

---

(١) سورة الأحقاف ٤٦ من الآية ٧، وتمامها: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾.

(٢) السورة السابقة من الآية ٣.

(٣) ينظر نظم الدرر للبقاعي ١٢٩/١٨. والتفسير المظهري ٣٩٤/٨.

(٤) ينظر فتح الرحمن للعليمي ٢٨٢/٦.

(٥) نظم الدرر ١٢٩/١٨. وينظر التحرير والتنوير لابن عاشور ١٣/٢٦ وعبارته: وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ إظهار في مقام الإضمار؛ للتسجيل عليهم بالكفر، وبأنه سبب قولهم ذلك.

ويصح أن تشتمل على غرض بلاغي آخر هو تسجيل الكفر عليهم، قال أبو السعود: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلۡحَقِّ﴾ إلخ وُضِعَ الموصول موضِعَ ضميرِ المتلوّ عليهم؛ تسجيلاً عليهم بكمال الكفرِ والضلالة(١).

٢- وضع "الذين كفروا" موضع واو الفاعل في قوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّ﴾(٢) الآية.

مقتضى السياق: "ويوم يعرضون على النار" إلخ؛ نظراً للسباق.

قال ابن عاشور: وذكر ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ إظهار في مقام الإضمار؛ للإيماء بالموصول إلى علة بناء الخبر، أي يقال لهم ذلك؛ لأنهم كفروا(٣).

أي يقال لهم بسبب كفرهم: "أليس هذا العذاب بالحق الثابت".

****

(١) إرشاد العقل السليم ١٢٢/٥. وينظر الكشاف للزمخشري ٤٩٣/٥. وأنوار التنزيل للبيضاوي ١١٢/٥. ومدارك التنزيل للنسفي ٣٠٨/٣. والبحر المحيط لأبي حيان ٥٧/٨. والدر المصون للسمين ٦٦٢/٩. واللباب لابن عادل ٣٨١/١٧. وروح البيان لحقي ٤٦٦/٨. والبحر المديد لابن عجيبة ٣٢٦/٥. وروح المعاني للآلوسي ٨/٢٦. وفتح البيان للقنوجي ١٣/١٣. وحدائق الروح والريحان لمحمد الأمين ٤٢/٢٧ . والتفسير المظهري ٣٩٤/٨.

(٢) سورة الأحقاف ٤٦ من الآية ٣٤.

(٣) التحرير والتنوير ٦٦/٢٦.

سورة الفتح

وفيها موضعان، وهما:

١- وضع "الذين كفروا" موضع واو الفاعل في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوَلَّوُاْ ٱلْأَدْبَٰرَ﴾[١].

والمراد بـ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ ما أريد بالناس في قوله: ﴿وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ﴾[٢]**، حيث أريد بهم مشركو مكة بالحديبية ومن وافقهم**[٣].

وأصل السياق: "ولو قاتلوكم لولوا الأدبار" إلخ.

قال ابن عاشور: وكان مقتضى الظاهر الإتيان بضمير الناس بأن يقال: "ولو قاتلوكم"، فعدل عن الضمير إلى الموصول؛ لما في الصلة من الإيماء إلى وجه بناء الخبر، وهو أن الكفر هو سبب تولية الأدبار في قتالهم للمسلمين[٤].

٢- وضع "الذين كفروا" موضع واو الفاعل في قوله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾[٥].

---

(١) سورة الفتح ٤٨ من الآية ٢٢.

(٢) السورة السابقة من الآية ٢٠.

(٣) ينظر المحرر الوجيز لابن عطية ١٣٥/٥. والسراج المنير للشربيني ٤٩/٤. والتحرير والتنوير لابن عاشور ١٧٧/٢٦.

(٤) التحرير والتنوير ١٨١/٢٦ بتصرف.

(٥) سورة الفتح ٤٨ من الآية ٢٦.

تقدم ذكر ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ في الآية السابقة مرتين، والمراد بهم كفار قريش بلا خلاف، منعوا النبي ﷺ وأصحابه من دخول مكة والطواف بالبيت الحرام[1]، قال ﷻ: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ.... لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ الآية[2].

وأصل السياق: "إذ جعلوا في قلوبهم الحمية"، وعدل عن الضمير إلى الموصول؛ للإشعار بالعلية.

قال أبو السعود: وضْعُ الموصول موضع ضميرهم؛ لذمهم بما في حيز الصلة؛ وتعليلِ الحكمِ بهِ[3].

أي أن كفرهم هو سبب حمية الجاهلية في قلوبهم، وتعني الأنفة والتكبر عن الإذعان للحق، كعدم الإقرار بالبسملة والرسالة للنبي ﷺ على الأشهر[4].

****

([1]) ذكر ابن العربي في أحكام القرآن ١٣٧/٤: أن المراد بالموصول كفارٌ قريش بلا خلاف. وينظر معالم التنزيل للبغوي ٥٢٠/٧. والمحرر الوجيز لابن عطية ١٣٦/٥.

([2]) سورة الفتح ٤٨ من الآية ٢٥.

([3]) إرشاد العقل السليم ١٦٤/٥. وينظر البحر المديد لابن عجيبة ٤٠٢/٥. وروح المعاني للآلوسي ١١/٢٦.

([4]) ذكر صاحب تفسير المنار ٥٠١/١٠ عند تفسير سورة التوبة ٩ الآية ٤٠: أن الأشهر في تفسير هذه الحمية أنها ما أباه المشركون في كتاب الصلح من بدئه بكلمة بسم الله الرحمن الرحيم، ومن وصف سيدنا محمد ﷺ فيه برسول الله، وتعصبِهم لما كان من عادة الجاهلية وهو: باسمك اللهم. وينظر ينظر أنوار التنزيل للبيضاوي ١٣١/٥. ونظم الدرر للبقاعي ٣٣٠/١٨.

سورة الذاريات

وفيها موضع واحد، وهو:

وضع "الذين كفروا" موضع الضمير "هم" في قوله تعالى: ﴿فَوَيۡلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوۡمِهِمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ﴾[1].

ومقتضى السياق أن يقال: "فويل لهم" بناء على أن المراد بالذين كفروا عين ما أريد بالذين ظلموا[2] وهم كفار مكة، والمراد بأصحابهم من تقدم من الكفار[3].

وخولف مقتضى السياق فعدل عن الضمير إلى الموصول؛ للإشعار بعلية ما في حيز الصلة، أي: أنهم استحقوا العذاب بسبب كفرهم، قال أبو السعود: ﴿فَوَيۡلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ وُضِعَ الموصولُ موضعَ ضميرِهم؛ تسجيلاً عليهم بما في حيز الصلةِ منَ الكُفر؛ وإشعاراً بعلةِ الحكمِ[4].

---

(1) سورة الذاريات ٥١ الآية ٦٠.

(2) قال تعالى: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبٗا مِّثۡلَ ذَنُوبِ أَصۡحَٰبِهِمۡ فَلَا يَسۡتَعۡجِلُونِ﴾ الآية ٥٩ من سورة الذاريات ٥١.

(3) والقول بأن المراد بالذين ظلموا كفار مكة، وأن أصحابهم من تقدم من الكفار كقوم نوح وغيرهم- لا خلاف فيه بين المفسرين، ومن أشهرهم: البغوي في معالم التنزيل ٣٨١/٧. وابن جزي في التسهيل ٣٧٤/٢. وأبو حيان في البحر المحيط ١٤١/٨.

(4) إرشاد العقل السليم ٢٠٧/٥. وينظر روح البيان لحقي ١٨٣/٩. والبحر المديد لابن عجيبة ٤٨٢/٥. وروح المعاني للآلوسي ٢٤/٢٧، ٢٥. وفتح البيان للقنوجي ٢١٤/١٣. وحدائق الروح والريحان لمحمد الأمين ٤٠/٢٨.

وبهذا يتحقق في الآية غرضان بلاغيان: التسجيل عليهم بالكفر، والإشعار بعلته.

ويصح أن تشتمل الآية على غرض ثالث هو تأكيد ظلمهم بأنه من قبيل الكفر، والإشارة بما في حيز الصلة إلى عدم شكرهم النعمة، قال ابن عاشور: و"الذين كفروا" هم "الذين ظلموا"، عدل عن ضميرهم إلى الاسم الظاهر؛ لما فيه من تأكيد الاسم السابق تأكيداً بالمرادف، مع ما في صفة الكفر من الإيماء إلى أنهم لم يشكروا نعمة خالقهم[1].

****

سورة الطور

وفيها ثلاثة مواضع، وهي:

١- وضع "الذين آمنوا" موضع الضمير "هم" في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾[2].

ومقتضى المقام الإضمار بأن يقال: " هم ألحقنا بهم ذريتهم" بناء على أن المراد بـ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ المتقون المتقدم ذكرهم في قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَعِيمٖ﴾[3] [4].

([1]) التحرير والتنوير ٣٢/٢٧.

([2]) سورة الطور ٥٢ من الآية ٢١.

([3]) السورة السابقة الآية ١٧.

([4]) اختلف في المراد بالموصول في الآية، فقيل: المراد بهم المهاجرون والأنصار، ونسبه الواحدي وغيره لابن عباس. وظاهر الآية العموم ولا يوجب تخصيصَها بهم كونُهم السببَ ==

وإنما عدل عن الإضمار إلى الموصول؛ للإيماء بعلية الإيمان للخبر، قال ابن عاشور: والتعبير بالموصول إظهار في مقام الإضمار؛ لتكون الصلة إيماءً إلى وجه بناء الخبر الوارد بعدها، أي أن سبب إلحاق ذرياتهم بهم في نعيم الجنة- هو إيمانُهم وكونُ الذريات آمنوا بسبب إيمان آبائهم؛ لأن الآباء المؤمنين يلقنون أبناءهم الإيمان(١).

٢- وضع "الذين كفروا" موضع الضمير "هم" في قوله تعالى: ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ﴾(٢).

مقتضى الظاهر أن يقال: "فهم المكيدون"، بناء على أن المراد بالموصول كفار قريش(٣) الذين تقدم في الآيات الكلام فيهم.

==

في نزولها إن صح ذلك، فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. قال الآلوسي: لا أظن صحته. وقيل: المراد بهم المتقون المتقدم ذِكْرهم، المتصفون بأخصِّ الإيمان لا بأعَمِّه وهو الإسلام، ونسبه الجمهور إلى ابن عباس أيضاً. التفسير البسيط للواحدي ٤٨٧/٢٠. وتفسير ابن عرفة ٨٠/٤. وفتح البيان للقِنَّوجي ٢٢٤/١٣. وروح المعاني للآلوسي ٢٢/٢٧ . بتصرف.

(١) التحرير والتنوير ٤٨/٢٧.

(٢) سورة الطور ٥٢ الآية ٤٢.

(٣) اختلف المفسرون في المراد بالموصول في الآية على قولين: فيرى فريق منهم الطبري والزمخشري أن المراد به كفار قريش، بينما يرى فريق آخر منهم البيضاوي وابن جزي أن ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يحتمل العموم وهم داخلون فيه دخولاً أولياً، والخصوصَ أيضاً فيكون من وضع الموصول موضع الضمير. جامع البيان للطبري ٤٨٤/٢٢. والكشاف

==

وإنما عدل عن الإضمار إلى الموصول؛ لما تشير إليه الصلة من علة حلول الكيد بهم، أي فهم المغلوبون في الكيد المهلكون؛ لأنهم كفروا.

قال أبو السعود: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ هم المذكورونَ، ووضْعُ الموصولِ موضعَ ضميرِهم؛ للتسجيلِ عليهم بما في حيز الصلةِ من الكفرِ؛ وتعليلِ الحكمِ به[1].

وبهذا يتحقق في الآية غرضان بلاغيان: التسجيل بالكفر، والتعليل به.

ويصح أن تشتمل الآية على أغراض بلاغية أخرى:

أولها: التعميم في كل من كفر لتعليق الحكم به، أي: من كان كافراً فهو مكيد وإن كان من غير هؤلاء، قال ابن عرفة: عبر بالاسم الظاهر ولم يقل: "فهم المكيدون"؛ ليفيد العموم في كل من اتصف بصفاتهم؛ وليخرج بذلك من أسلم منهم، فلا يكون مكيدا[2].

وثانيها: التنبيه على وصف الكفر؛ لأن الكلام إذا كان على نسق واحد ربما يغفل السامع، لكن إذا جاء شيء يخرج الكلام عن النسق انتبه، قال

==

للزمخشري ٦٣١/٥. وأنوار التنزيل للبيضاوي ١٥٥/٥. والتسهيل لابن جزي ٣١٩/٢. بتصرف.

(١) إرشاد العقل السليم ٢١٤/٥. وينظر أنوار التنزيل للبيضاوي ١٥٥/٥. وفتوح الغيب للطيبي ٦٤/١٥. والبحر المحيط لأبي حيان ١٥٠/٨. والبحر المديد لابن عجيبة ٤٩٥/٥. والتفسير المظهري ١٠٠/٩. وروح المعاني للآلوسي ٣٩/٢٧. وحدائق الروح والريحان لمحمد الأمين ٩٨/٢٨. والتحرير والتنوير لابن عاشور ٧٧/٢٧.

(٢) تفسير ابن عرفة ٨٨/٤. وينظر نظم الدرر للبقاعي ٣٠/١٩، ٣١ بتصرف. والسراج المنير للشربيني ١١٩/٤.

القِنَّوجي: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ هذا من وقوع الظاهر موضع المضمر؛ تنبيهاً على اتصافهم بهذه الصفة القبيحة إلخ(١).

٣- وضع "الذين ظلموا" موضع الضمير "هم" في قوله تعالى:

﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾(٢).

مقتضى السياق أن يكون: "وإن لهم عذابا" جريا على أسلوب قوله ﷻ: ﴿فَذَرۡهُمۡ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصۡعَقُونَ﴾(٣)، وأن المراد بالموصول كفار مكة (٤).

(١) فتح البيان ٢٣٥/١٣ بتصرف. وينظر الدر المصون للسمين ٧٨/١٠. واللباب لابن عادل ١٤٦/١٨.

(٢) سورة الطور ٥٢ من الآية ٤٧.

(٣) السورة السابقة من الآية ٤٥.

(٤) اختلف المفسرون في المراد بالموصول في قوله: ﴿لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ تبعاً لاختلافهم في المراد بالعذاب في قوله: ﴿عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ على قولين: فمن قال: إن العذاب هو عذاب القبر، فالمراد بالذين ظلموا عمومُ الظالمين، ونسبه السمعاني لأكثر المفسرين. ومن قال- كالواحدي والقشيري وغيرهما-: إنه عذاب يوم بدر، فالمراد بالموصول كفار قريش يومئذ وما وقع لهم، ومصداق ذلك قول الله في سورة التوبة: ﴿قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ﴾، ونسبه الماتريدي إلى أهل التأويل. التفسير الوسيط للواحدي ١٩١/٤. وتأويلات أهل السنة للماتريدي ٦٠٠/٤. وتفسير القرآن للسمعاني ٢٨٠/٥، ٢٨١. ولطائف الإشارات للقشيري ٢٤٥/٣. ومفاتيح الغيب للرازي ٢٧٣/٢٨. بتصرف.

وخولف مقتضى السياق؛ لإفادة أن علة استحقاقهم العذاب في الدنيا- الظلمُ، وهو هنا الإشراك بالله[1].

قال أبو السعود: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: لَهُم، ووَضْعُ الموصولِ موضعَ الضميرِ؛ لما ذُكرَ من قبلُ[2].

أي للتسجيل عليهم بما في حيز الصلة من الظلم، وتعليلِ الحكم به، كما سبق في قوله ﷻ: ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾[3].

ويصح أن تشتمل الآية الكريمة على غرض بلاغي آخر هو: التعميم في كل من ظلم بالإشراك لتعليق الحكم به، أي: من كان ظالماً بالإشراك فإن له عذابًا آخر، وإن كان من غير هؤلاء.

قال البقاعي: وكان الأصل "لهم"، ولكنه أظهر؛ تعميماً وتعليقاً للحكم بالوصف فقال: ﴿لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: أوقعوا الأشياء في غير مواقعها كما

---

(1) اختلف المفسرون في المراد بالظلم، فذهب الجمهور إلى أنه الشرك، وبعضهم إلى أنه الكبائر، وبعضهم إلى أنه الصغائر. جامع البيان للطبري ٤٨٨/٢٢. والنكت والعيون للماوردي ٣٨٦/٥. بتصرف.

(2) إرشاد العقل السليم ٢١٥/٥. وينظر البحر المديد لابن عجيبة ٤٩٧/٥ حيث اقتصر على التسجيل بالظلم. وروح المعاني للآلوسي ٣٩/٢٧ حيث أشار إلى الغرضَين معاً وهما: التسجيل بالظلم وتعليل الحكم به. والتحرير والتنوير لابن عاشور ٨٢/٢٧ حيث اقتصر على التعليل بالظلم.

(3) سورة الطور ٥٢ من الآية ٤٢.

يقولونه في القرآن، ويفعلونه من العصيان ويعتقدون من الشرك والبهتان[1].

****

سورة النجم

وفيها موضع واحد، وهو:

وضع "مَنْ تولى" موضع الضمير "هم" في قوله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾[2].

مقتضى السياق: "فأعرض عنهم" تبعا لأسلوب قوله ﷻ: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾[3].

ولكن جيء بالاسم الموصول في مقام الإضمار؛ لما تؤذن به صلة الموصول من علة أمره ﷺ بالإعراض عنهم.

قال أبو السعود: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا﴾ **أي: عنهم، ووضع الموصول موضع ضميرهم؛ للتوصل به إلى وصفهم بما في حيزِ صلتِه من الأوصافِ القبيحةِ؛ وتعليلِ الحكمِ بها[4].**

---

(1) نظم الدرر للبقاعي ٣٦/١٩.

(2) سورة النجم ٥٣ من الآية ٢٩.

(3) السورة السابقة الآية ٢٨.

(4) إرشاد العقل السليم ٢٢٥/٥. وينظر البحر المديد لابن عجيبة ٥٠٨/٥. والتفسير المظهري ١٢٠/٩. وروح المعاني للآلوسي ٦٠/٢٧. والتحرير والتنوير لابن عاشور ١١٧/٢٧. والتفسير الوسيط د سيد طنطاوي ٧٤/١٤.

وبهذا يتحقق في الآية غرضان بلاغيان من أغراض وضع الموصول موضع الضمير: الأول: التوصل إلى الوصف بما في حيز الصلة، والثاني: الإشعار بالعلية، لكن الثاني هو الأشهر.

أي: أَعْرِضْ عنهم بسبب أنهم أعرضوا عن الوحي، ولم يريدوا سوى متع الدنيا، وأما ما يتعلق بالآخرة فَهُمْ عنه في غفلة.

قال أبو حيان: فالتولي عن الذكر سبب للإعراض عنهم، وإيثارُ الدنيا سبب التولي عن الذكر(١).

****

سورة المجادلة

وفيها موضع واحد، وهو:

وضع "الذين يحادون" موضع الضمير "هم" في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ﴾(٢).

مقتضى السياق أن يقال: إنهم في الأذلين"، ولكن عدل عن الضمير إلى الموصول؛ لأربعة أغراض:

الأول والثاني- وهو الأشهر-: البيان بما في حيز الصلة، وتعليلُ الحكم الوارد بعده وهو كونهم أذلين؛ لأنهم أعداء الله ورسوله ﷺ، فعَدُوُّهما لا يكون عزيزاً.

---

(١) البحر المحيط ٨/١٦١.

(٢) سورة المجادلة ٥٨ الآية ٢٠.

قال أبو السعود: عبر عنهم- أي حزب الشيطان- بالموصولِ؛ للتنبيهِ بما في حيز الصلةِ على أنَّ مُوادةَ مَنْ حَادَّ الله ورسولَهُ محادّةٌ لَهُمَا؛ والإشعارِ بعلةِ الحُكمِ[1] .

الثالث: الذم، قال الآلوسي: عبر عنهم- أي حزب الشيطان- بالموصول؛ ذما لهم بما في حيز الصلة؛ وإشعاراً بعلة الحكم[2].

الرابع: الإفادة بعداوتهم لله والرسول، قال ابن عاشور: أخرج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر إلى الموصولية؛ لإفادة مدلول الصلة أنهم أعداء لله تعالى ورسوله ﷺ؛ وإفادة الموصول تعليل الحكم[3].

****

سورة الملك

وفيها موضع واحد، وهو:

وضع "الذين كفروا" موضع الضمير "هم" في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾[4].

([1]) إرشاد العقل السليم ٢٩٦/٥. وينظر نظم الدرر للبقاعي ٣٩٤/١٩ وعبارته بتصرف: لما بيّن ما أوصلهم إليه نسيان الذكر من الخسار، بيّن أنه أوقعهم في العداوة، فقال معللاً الخسار والنسيان والتحزب، وأكد تكذيباً لحالفهم على نفي ذلك؛ مظهراً موضع الإضمار؛ للتنبيه على الوصف الموقع في الهلاك: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ اهـ. وروح المعاني للآلوسي ٣٤/٢٨. والتحرير والتنوير لابن عاشور ٥٦/٢٨.

([2]) روح المعاني ٣٤/٢٨.

([3]) التحرير والتنوير ٥٦/٢٨.

([4]) سورة الملك ٦٧ من الآية ٢٧.

سبق الحديث عن ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ في قوله ﷻ: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾[1]، والمراد بهم الكفار المنكرون للمعاد المستبعدون وقوعه[2].

والمقام للضمير بأن يقال في غير القرآن: "سيئت وجوههم"، وإنما عدل عنه وأتى بالموصول الذي من قبيل الظاهر؛ لعلية ما في حيز الصلة على الأشهر، قال أبو السعود: ووضعُ الموصولِ موضعَ ضميرِهِم؛ لذمِّهِم بالكُفرِ؛ وتعليلِ المساءةِ بهِ[3].

وبهذا يتحقق في الآية غرضان بلاغيان: الأول: الذم بصفة الكفر، والثاني: بيان السبب الذي من أجله حلت بهم المساءة، وهو أنهم كانوا كافرين.

ويصح أن تشتمل الآية على أغراض بلاغية أخرى:

منها: إفادة عظم هول ما اتصفوا به من الكفر، قال ابن عرفة: وأوقع الظاهر موقع المضمر فلم يقل: "وجوههم"؛ تعظيما لهول ما اتصفوا به؛ وتنبيهاً على السبب الذي استحقوا به ذلك العذاب[4].

([1]) السورة السابقة الآية ٢٥.

([2]) ينظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٧٨/١٤.

([3]) إرشاد العقل السليم ٣٦٧/٥. وينظر تفسير ابن عرفة ٢٦٦/٤. وروح البيان لحقي ٩٦/١٠. والبحر المديد لابن عجيبة ١٠١/٧. وروح المعاني للآلوسي ٢١/٢٩. وفتح البيان للقنوجي ٢٤٧/١٤. وحدائق الروح والريحان لمحمد الأمين ٤٨/٣٠. والتفسير الوسيط د/سيد طنطاوي ٢٩/١٥.

([4]) تفسير ابن عرفة ٢٦٦/٤.

ومنها: قصد التعميم لتعليق الحكم على الوصف، قال البقاعي: وأظهر في موضع الإضمار؛ تعميماً وتعليقاً للحكم بالوصف فقال: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي: ظهر السوء وغاية الكراهة في وجوه من أوقع هذا الوصف- ولو على أدنى وجوه الإيقاع- وعَلَتْها الكآبةُ[1].

أن كل من كفر ساءهم ذلك العذاب فظهر أثره من الكراهة والكآبة في وجوههم.

****

سورة الانشقاق

وفيها موضع واحد، وهو:

وضع "الذين كفروا" موضع الضمير "هم" في قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ﴾[2].

و﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ هم المرادون في قوله ﷻ: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ﴾[3]. فمقتضى الظاهر الإضمار بأن يقال: "بل هم يكذبون"، فعدل عن الضمير إلى الموصول؛ لأربعة أغراض بلاغية:

أولها- وأشهرها-: الإشعار بعلة عدم خضوعهم للقرآن، قال الطيبي: و﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ وُضِعَ موضع المظهر؛ للإشعار بأنهم لا

---

(1) نظم الدرر ٢٦٥/٢٠. وينظر السراج المنير للشربيني ٣٤٨/٤.

(2) سورة الانشقاق ٨٤ الآية ٢٢.

(3) السورة السابقة الآية ٢٠، ٢١.

يؤمنون ولا يسجدون عند قراءة القرآن عليهم؛ لأنهم كافرون مكذبون[1].

ثانيها: تسجيل الكفر عليهم، قال الآلوسي: ووُضِعَ الموصولُ موضع ضميرهم؛ للتسجيل عليهم بالكفر؛ والإشعار بعلة الحكم[2].

ثالثها: قصد التعميم لمن اتصف بالوصف، قال البقاعي: وضع الظاهر موضع المضمر؛ تعميماً؛ وتنبيهاً على الوصف الذي حملهم على التكذيب فقال: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي: ستروا مرائِيَ عقولهم الدالة على الحق ﴿يُكَذِّبُونَ﴾ أي: بالقرآن وبما دل عليه من حقائق العرفان المُعْلِيَةِ إلى أَوْجِ الإيمان بالواحد الديان[3].

رابعها: الذم، قال ابن عاشور: وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ إظهار في مقام الإضمار؛ لأن مقتضى الظاهر أن يقال: بل هم يكذبون، فعدل إلى الموصول والصلة؛ لما تؤذن به الصلة من ذمهم بالكفر؛ للإيماء إلى علة الخبر، أي: أنهم استمروا على التكذيب؛ لتأصل الكفر فيهم وكونهم يُنْعَتُون به[4].

([1]) فتوح الغيب ٣٦٥/١٦. وينظر نظم الدرر للبقاعي ٣٤٩/٢١، ٣٥٠. وروح البيان لحقي ٢٩٦/١٠. وروح المعاني للآلوسي ٨٤/٣٠. وفتح البيان للقِنَّوجي ١٥٣/١٥. وحدائق الروح والريحان لمحمد الأمين ٢٨١/٣١. والتحرير والتنوير لابن عاشور ٢٣٣/٣٠.

([2]) روح المعاني ٨٤/٣٠. وينظر روح البيان لحقي ٢٩٦/١٠. وحدائق الروح والريحان لمحمد الأمين ٢٨١/٣١.

([3]) نظم الدرر ٣٤٩/٢١، ٣٥٠.

([4]) التحرير والتنوير ٢٣/٣٠.

خاتمة

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ الداعي إلى رضوانه، وبعد...

فبعون الله ومدده وصلت إلى نهاية هذا البحث، وقد توصلت فيه إلى عدة نتائج، منها:

١- أن الأصل في الأسماء إذا ذكرت ابتداء أن تكون ظاهرة، فإذا أعيدت ثانياً فالأصل فيها أن يُكَنَّى عنها بالضمير، مما يدل على أن كلا من المظهر والمضمر أصل في موضعه.

٢- أن للخروج على خلاف مقتضى الظاهر- صوراً كثيرة وأساليبَ متعددة في القرآن الكريم، ومن هذه الأساليب: الالتفات، وأسلوب الحكيم، ووضع المضمر موضع المظهر، والمظهر موضع المضمر، ولكلِّ أسلوبٍ محله وأغراضُه التي يكشفها السياقُ.

٣- أن ظاهرة "الموصول في موضع الضمير" تعتبر جزءاً من ظاهرة المظهر في موضع المضمر، وقد وردت في القرآن الكريم كثيراً؛ وهي لا ترد إلا لغرض بلاغي.

٤- أن من أبرز المفسرين الذين عُنوا بظاهرة "الموصول في موضع الضمير"- الزمخشريَّ والطِّيبي وأبا السعود والآلوسي، فالزمخشري والطيبي يعبران عنها بوضع المظهر موضع المضمر، وأبو السعود والآلوسي يعبران صراحةً بوضع الموصول موضع الضمير غالباً .

٥- كثرة الأغراض البلاغية التي ذكرها المفسرون لوضع الموصول موضع الضمير، بحيث شملت الأغراض التي ذكرها البلاغيون وزيادة، فهي تكاد تزيد على بضعةَ عشر غرضاً.

٦- أبرز الأغراض البلاغية وأكثرها شيوعا لظاهرة "الموصول في موضع الضمير" في تفسير القرآن الكريم- هو التنبيه على علة الحكم، فلا يكاد يخلو عنه موضع .

٧- كل موطن وضع فيه الموصول موضع الضمير- يصلح أن يكون للعلية.

٨- أعداد المواضع التي وضع فيها الموصول موضع الضمير تعليلا اثنان وسبعون موضعاً، وعدد السور التي ورد فيها ذلك ثلاث وثلاثون سورةً.

٩- أثناء عمل البحث تم التوصل إلى صورٍ أُخَرَ من "وضع المظهر موضع المضمر"، ومنها: وضع اسم الإشارة موضع الضمير، وهي صورة أو ظاهرة جديرة بالدراسة؛ للكشف عن أغراضها البلاغية المتناثرة في كتب المفسرين.

والحمد لله رب العالمين

****

فهرس المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

كتب التفسير وعلوم القرآن

١- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية، دار النشر: مجمع الملك فهد- السعودية، ط١.

٢- أحكام القرآن، للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المتوفى سنة ٥٤٣هـ، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط ٣، سنة ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

٣- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، تأليف: قاضي القضاة أبي السعود بن محمد العمادي الحنفي المتوفى سنة٩٨٢هـ، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، مكتبة الرياض الحديثة- الرياض، ومطبعة السعادة- ميدان أحمد ماهر.

٤- الإكسير في علم التفسير، تأليف: سليمان بن عبد القوي الطوفي المتوفى سنة ٧١٣هـ، حققه: أ. د/ عبد القادر حسين، مكتبة الآداب/ميدان الأوبرا- القاهرة.

٥- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تأليف ناصر الدين أبي الخير عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي البيضاوي المتوفى ٦٩١، إعداد وتقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ- بيروت/ لبنان.

٦- بحر العلوم لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي المتوفى سنة ٣٧٥هـ، تحقيق وتعليق: الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والدكتور/زكريا عبد الحميد النوتي، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان، ط١، سنة ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٧- البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي المتوفى سنة ٧٤٥هـ، دراسة وتحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، وشارك في تحقيقه: د/ زكريا عبد المجيد، د/ أحمد النجولي الجمل، وقرظه: د/ عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية- بيروت/ لبنان، ط١، سنة ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٨- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، المؤلف: أبو العباس أحمد بن محمد بن عجيبة، المتوفى سنة ١٢٢٤هـ، المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور/ حسن عباس زكي- القاهرة، سنة ١٤١٩ هـ، وتنتهي هذه الطبعة بآخر سورة القمر. ومن أول سورة الرحمن إلى آخر التفسير موافق لـ ط دار الكتب العلمية - بيروت، ط٢، سنة ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.

٩- البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي المتوفى سنة ٧٩٤هـ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، ش الجمهورية- بالقاهرة، ط٣، سنة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

١٠- تأويلات أهل السنة، تأليف: أبي منصور محمد بن محمد الماتريدي المتوفى سنة ٣٣٣هـ، تحقيق: فاطمة يوسف الخيمي، مؤسسة الرسالة- بيروت/لبنان، ط١، سنة ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

١١- التبيان في إعراب القرآن للعكبَري المتوفى سنة ٦١٦هـ، تحقيق: علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي وشركاه- القاهرة، سنة ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.

١٢- التحرير والتنوير، تأليف: الشيخ/ محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون- تونس.

١٣- التسهيل لعلوم التنزيل، المؤلف: محمد بن أحمد بن جُزَيّ الغرناطي، المتوفى سنة ٧٤١هـ، ضبطه وصححه وخرج آياته: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية/بيروت- لبنان، ط١، سنة ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

١٤- تفسير ابن عرفة، المؤلف: محمد بن محمد بن عرفة التونسي، المتوفي سنة ٨٠٣ هـ، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، سنة ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

١٥- التفسير البسيط، تأليف: الواحدي أبي الحسن علي بن أحمد المتوفى سنة ٤٦٨هـ، تحقيق: د/محمد بن صالح بن عبد الله الفوزان، أشرف على طباعته وإخراجه: د/عبد العزيز سِطَام آل سعود، أ. د/ تركي بن سهود العتيبي، جامعة ابن سعود، سنة ١٤٣٠هـ.

١٦- تفسير الجلالين، لجلال الدين المحلي المتوفى سنة ٨٦٤ هـ، وجلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ، دار الحديث- القاهرة، ط١.

١٧- تفسير القرآن، تأليف: أبي المظهر السمعاني المتوفى سنة ٤٨٩هـ، تحقيق: أبي تميم ياسر بن إبراهيم، دار الوطن-الرياض، ط١، سنة ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

١٨- تفسير القرآن الحكيم المشتهر باسم (تفسير المنار)، المؤلف: محمد رشيد رضا المتوفى سنة ١٣٥٤هـ، دار المنار-القاهرة، ط٢، سنة ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م.

١٩- تفسير القرآن العظيم لابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤هـ، تحقيق: مصطفى محمد السيد، ومحمد فضل العجماوي، ومحمد السيد رشاد، وعلي أحمد عبد الباقي، وحسن عباس قطب، مؤسسة قرطبة، ومكتبة أولاد الشيخ للتراث- الجيزة، دار الفاروق الحديثية للطباعة والنشر- القاهرة، ط١، سنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٢٠- التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، تأليف: أبي عبد الله محمد بن عمر الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، المتوفى سنة ٦٠٦هـ، دار الفكر-بيروت، ط١، سنة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٢١- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، المتوفى سنة ٤٦٨هـ، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية / دمشق- بيروت، ط١، سنة ١٤١٥هـ.

٢٢- تفسير المظهري، تأليف: القاضي محمد ثناء الله العثماني الحنفي النقشبندي المتوفى سنة ١١٢٥هـ، تحقيق: أحمد عِزّو عناية، دار إحياء التراث العربي-بيروت/لبنان، ط١، سنة ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٢٣- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، المؤلف: د/محمد سيد طنطاوي المتوفى سنة ١٤٣١هـ، دار نهضة مصر / الفجالة - القاهرة، ط١.

٢٤- جامع البيان عن تأويل القرآن، تأليف: أبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ، حققه وعلق حواشيه: محمود محمد شاكر،

راجعه وخرج أحاديثه: أحمد محمد شاكر، مكتبة ابن تيمية، ط٢، سنة ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.

٢٥- جامع البيان في تفسير القرآن تأليف/ محمد بن عبد الرحمن الإيجي المتوفى سنة ٩٠٥هـ، ومعه حاشية محمد بن عبد الله الغزنوي المتوفى ١٢٩٦هـ، تحقيق: د/عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية- بيرت/لبنان، ط١، سنة٢٠٠٤م-١٤٢٤هـ.

٢٦- الجامع لأحكام القرآن، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين القرطبي المتوفى سنة ٦٧١هـ، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة.

٢٧- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، المؤلف: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الثعالبي المتوفى سنة ٨٧٥هـ، المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار إحياء التراث العرب- بيروت، ط١، سنة ١٤١٨ هـ.

٢٨- حاشية القونوي على البيضاوي، تأليف: عصام الدين إسماعيل بن محمد القونوي الحنفي المتوفى سنة١١٩٥هـ، ومعه حاشية ابن التمجيد مصلح الدين مصطفى بن إبراهيم الرومي الحنفي المتوفى سنة ٨٨٠هـ، ضبطه وصححه وخرج آياته: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية- بيروت/ لبنان، ط١، سنة ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

٢٩- حاشية محي الدين شيخ زاده على البيضاوي، تأليف: محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوي الحنفي المتوفى سنة ٩٥١هـ، ضبطه

وصححه وخرج آياته: محمد عبد القادر شاهين، دار الكتب العلمية- بيروت/ لبنان، ط١، سنة ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٣٠- حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، المؤلف: محمد الأمين بن عبد الله الأُرَمِي العلوي الهَرَري الشافعي، إشراف ومراجعة: د/هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة/ بيروت- لبنان، ط١، سنة ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

٣١- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تأليف: أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي المتوفى سنة ٧٥٦هـ، تحقيق: د/ أحمد محمد الخراط، دار القلم- دمشق.

٣٢- روح البيان، المؤلف: إسماعيل حقي، المتوفى سنة ١١٢٧هـ، دار الفكر- بيروت.

٣٣- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تأليف: أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي المتوفى سنة ١٢٧٠هـ، دار إحياء التراث العربي- بيروت/ لبنان.

٣٤- زاد المسير في علم التفسير، تأليف: عبد الرحمن بن علي الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧هـ، ط٣، سنة ١٤٠٤هـ، الناشر: المكتب الإسلامي-بيروت.

٣٥- زهرة التفاسير، المؤلف: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة المتوفى سنة ١٣٩٤هـ، دار الفكر العربي-مصر.

٣٦- الزيادة والإحسان في علوم القرآن لابن عَقيلة المكي المتوفى سنة ١١٥٠هـ، مركز البحوث والدراسات/الشارقة-الإمارات، ط١، سنة ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٣٧- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، تأليف: الشيخ الإمام الخطيب الشربيني المتوفى سنة ٩٧٧هـ، مطبعة بولاق-مصر، سنة ١٨٨١م.

٣٨- عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي، تأليف: الشهاب الخفاجي المتوفى سنة ١٠٩٦هـ، دار صادر- بيروت.

٣٩- غرائب التفسير وعجائب التأويل، تأليف: تاج القراء محمود بن حمزة الكرماني المتوفى سنة ٥٠٥هـ، تحقيق: شمران سركال يونس العجلي، دار القبلة للثقافة الإسلامية- جدة، ومؤسسة علوم القرآن- بيروت.

٤٠- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تأليف: نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري المتوفى سنة ٨٥٠هـ، دار الكتب العلمية- بيروت/ لبنان، ط١، سنة ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

٤١- غريب القرآن، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦هـ، المحقق: السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية- بيروت/لبنان، سنة ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.

٤٢- فتحُ البيان في مقاصد القرآن، المؤلف: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن القِنَّوجي المتوفى سنة ١٣٠٧هـ، عني بطبعهِ وقدّم له

وراجعه: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة- صَيدَا / بَيروت، سنة ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

٤٣- فتح الرحمن في تفسير القرآن، المؤلف: مجير الدين بن محمد العليمي المتوفى سنة ٩٢٧ هـ، اعتنى به تحقيقا وضبطا وتخريجا: نور الدين طالب، الناشر: دار النوادر، ط١، سنة ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م.

٤٤- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تأليف: محمد بن علي الشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٠هـ، حققه وخرج أحاديثه: د/عبد الرحمن عميرة، وضع فهارسه وشارك في تخريج أحاديثه: لجنة التحقيق والبحث العلمي بدار الوفاء.

٤٥- فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، تأليف: شرف الدين الطيبي المتوفى سنة ٧٤٣هـ، المشرف العام على الإخراج العلمي للكتاب: د/ محمد عبد الرحيم سلطان العلماء، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط١، سنة ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

٤٦- الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، المؤلف: نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان المتوفى سنة ٩٢٠هـ، دار ركابي/الغورية- مصر، ط١، سنة ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.

٤٧- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للعلامة جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨هـ، تحقيق وتعليق ودراسة: الشيخ/ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ/ علي محمد معوض، وشارك في تحقيقه: أ.د/ فتحي عبد الرحمن

أحمد حجازي، أستاذ البلاغة والنقد بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر، العكيبان – الرياض، ط١، سنة ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.

٤٨– لباب التأويل في معاني التنزيل، تأليف: علي بن محمد الخازن، المتوفى سنة ٧٤١هـ، وبهامشه مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تأليف: أبي البركات عبد الله بن أحمد النسفي المتوفى سنة ٧٠١هـ، أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنى ببغداد لصاحبها قاسم محمد الرجَب.

٤٩– لطائف الإشارات، تأليف: أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري المتوفى سنة ٤٦٥هـ، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية–بيروت/لبنان، ط٢، سنة ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.

٥٠– اللباب في علوم الكتاب، تأليف: أبي حفص عمر بن عادل الحنبلي المتوفى سنة ٨٨٠هـ، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض آخرون، دار الكتب العلمية– بيروت/ لبنان، ط١، سنة ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

٥١– محاسن التأويل، المؤلف: محمد جمال الدين القاسمي، المتوفى سنة ١٣٣٢هـ، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، مكتبة: عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط١، سنة ١٣٧٦هـ – ١٩٥٧م.

٥٢– المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تأليف: القاضي ابن عطية المتوفى سنة ٥٤٦هـ، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية–بيروت/لبنان، ط١، سنة ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

٥٣- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تأليف: أبي البركات عبد الله بن أحمد النسفي المتوفى سنة ٧١٠هـ، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، وراجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستوٍ، دار الكلم الطيب/ بيروت، ط١، سنة ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٥٤- مشكل إعراب القرآن، لمكي بن أبي طالب القيسي المتوفى سنة ٤٣٧هـ، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط٢، سنة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.

٥٥- معالم التنزيل، تأليف: أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي المتوفى سنة ٥١٦هـ، حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة- الرياض، سنة ١٤٠٩هـ.

٥٦- معاني القراءات للأزهري المتوفى سنة ٣٧٠هـ، تحقيق ودراسة: د/ عيد مصطفى درويش، د/ عوض بن حمد القرَوي، دار المعارف/ الرياض، ط١، سنة ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

٥٧- معاني القرآن وإعرابه، تأليف: إبراهيم بن السري أبي إسحاق الزجاج المتوفى سنة ٣١١هـ، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، دار عالم الكتب - بيروت، ط١، سنة ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٥٨- معاني القرآن، تأليف: أبي زكريا يحيى بن زياد الفراء المتوفى سنة ٢٠٧هـ، عالم الكتب- بيروت، ط٣، سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٥٩- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تأليف: إبراهيم بن عمر البقاعي المتوفى سنة ٨٨٥هـ، دار الكتاب الإسلامي-القاهرة.

٦٠- النكت والعيون، تأليف: أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري المتوفى سنة ٤٥٩هـ، راجعه وعلق عليه: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار ١٠٥- الكتب العلمية-بيروت/لبنان، ومؤسسة الكتب الثقافية-بيروت/لبنان.

٦١- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تأليف: أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي المتوفى سنة هـ، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، وأحمد محمد صيرة، وأحمد عبد الغني الجمل، وعبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: أ. د/ عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية-بيروت/لبنان، ط١، سنة ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٦٢- الهداية إلى بلوغ النهاية، تأليف: أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي المتوفى سنة ٤٣٧هـ، مجموعة رسائل جامعية، كلية الدراسات العليا، جامعة الشارقة، ط١، سنة ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

****

كتب اللغة والمعاجم والدواوين

١- أنوار الربيع في أنواع البديع لابن معصوم سنة١١٢٠هـ حققه وترجم لشعرائه: شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان- النجف، ط١، سنة ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

٢- الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني ٧٣٩ هـ، صنع حواشيه: إبراهيم شمس الدين - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ط ١، سنة ٢٠٠٣ م ١٤٢٤ هـ.

٣- البديع في علم العربية، المؤلف: المبارك بن محمد، ابن الأثير المتوفى سنة ٦٠٦ هـ، تحقيق ودراسة: د/فتحي أحمد علي الدين، جامعة أم القرى/مكة المكرمة-السعودية، ط١، سنة ١٤٢٠ هـ.

٤- تاج العروس من جواهر القاموس للسيد محمد مرتضى الزبيدي المتوفى سنة ١٢٠٥ هـ، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية – الكويت.

٥- التعريفات للجرجاني ٨١٦ هـ، لبنان – بيروت سنة ١٩٨٥م.

تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري المتوفى سنة ٣٧٠ هـ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، وعبد السلام محمد هارون، وأخرون، وراجعه: محمد علي البَجاوي، الدار المصرية.

٦- حاشية الصبان المتوفى سنة ١٢٠٦هـ على شرح الأشموني المتوفى سنة ٩٠٠هـ على ألفية ابن مالك، ومعه شرح الشواهد للعيني المتوفى سنة ٨٥٥هـ، تحقيق: طه عبد الرؤف سعد، المكتبة التوفيقية بالحسين/ القاهرة.

٧- خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، تأليف: د/ محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة- القاهرة، ط٤، سنة١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

٨- الزاهر في معاني كلمات الناس، تأليف أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري المتوفى سنة ٣٢٨هـ، تحقيق: د/ حاتم الضامن، اعتنى به: عز الدين البدوي النجار، مؤسسة الرسالة.

٩- شرح التسهيل المسمَّى تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، تأليف: محب الدين محمد بن يوسف المعروف بناظر الجيش المتوفى سنة ٧٧٨هـ،

دراسة وتحقيق: أ. د/علي أحمد فاخر ومجموعة من المحققين، دار السلام، ط١، سنة ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

١٠- شرح المفصل لابن يعيش المتوفى سنة ٦٤٣هـ، تحقيق: د/ إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية- بيروت/ لبنان، ط ١، سنة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

١١- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، تأليف: الإمام أبي محمد عبدالله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبدالله بن هشام الأنصاري المتوفى سنة ٧٦١هـ، ومعه كتاب منتهى الأدب بتحقيق شرح شذوذ الذهب ، تأليف: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الطلائع- القاهرة.

١٢- شرح قطر الندى وبل الصدى، تصنيف: أبي محمد عبدالله بن هشام المتوفى سنة ٧٦١هـ، ومعه كتاب سبيل الهدى بتحقيق شرح قطر الندى، تأليف: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى- مصر، مطبعة السعادة، ط١١، سنة ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م.

١٣- شروح التلخيص، وهو مختصر العلامة سعد الدين التفتازاني المتوفى ٧٩٢هـ، على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني المتوفى ٧٣٩هـ، ومواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح لابن يعقوب المغربي المتوفى ١٠٦٦هـ، وعروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي المتوفى ٧٧٣هـ، وقد وضع بالهامش كتاب الإيضاح لمؤلف التلخيص جعله كالشرح له، وحاشية الدسوقي المتوفى ١٢٣٠هـ، على شرح السعد. دار الكتب العلمية/بيروت-لبنان، ودار البيان العربي، ودار الهادي/بيروت- لبنان، ط٤، سنة ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

١٤- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المؤلف: يحيى بن حمزة العلويّ الملقب بالمؤيَّد بالله، المتوفى سنة ٧٤٥هـ، مطبعة المقتطف- مصر، سنة ١٣٣٢هـ - ١٩١٤م.

١٥- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، المؤلف: أحمد بن علي، بهاء الدين السبكي المتوفى سنة ٧٧٣ هـ، المحقق: د/ عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية/بيروت – لبنان، ط١، سنة ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.

١٦- الفروق اللغوية، المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، المتوفى سنة نحو ٣٩٥هـ، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سَليم، دار العلم والثقافة/ القاهرة- مصر.

١٧- القاموس المحيط للفيروزابادي سنة ٨١٧ هـ، وبهامشه تعليقات وشروح، نسخة مصورة عن الطبعة الثالثة للمطبعة الأميرية سنة ١٣٠١هـ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

١٨- الكليات "معجم في المصطلحات والفروق اللغوية" لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي سنة ١٠٩٤هـ، قابله على نسخة خطية وأعده للطبع ووضع فهارسه: د/عدنان درويش، و محمد المصري، مؤسسة الرسالة- بيروت.

١٩- لسان العرب لابن منظور ٧١٨ هـ، تحقيق: عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، طبعة دار المعارف.

٢٠- المحكم والمحيط الأعظم لابن سِيده سنة ٤٥٨هـ، تحقيق د/ عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية- بيروت/ لبنان ط١ سنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٢١- مختار الصحاح، المؤلف: محمد بن أبي بكر الرازي، المتوفى سنة ٦٦٦هـ، إخراج: دائرة المعاجم في مكتبة لبنان-بيروت ، سنة ١٩٨٦م.

٢٢- معجم مقاييس اللغة لابن فارس المتوفى سنة ٣٩٥هـ، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، سنة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٢٣- المُغْرِب في ترتيب المُعْرِب، تأليف أبي الفتح ناصر الدين المُطَرِّزي المتوفى سنة٦١٠هـ، تحقيق: محمود خاخوري، وعبد الحميد مختار، مكتبة أسامة بن زيد، حلب- سورية، ط١، سنة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م.

٢٤- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري المتوفى سنة٧٦١هـ، تحقيق وشرح: د/ عبد اللطيف محمد الخطيب، الكويت، ط١٤٢١هـ -٢٠٠٠م.

****

كتب الفقه وأصوله

١- الإبهاج في شرح المنهاج (منهاج الوصول إلي علم الأصول للبيضاوي المتوفي سنة ٦٩١هـ)، المؤلف: تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي المتوفى سنة ٧٥٦هـ، وولده تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي المتوفى سنة ٧٧١هـ، تحقيق وتعليق: د/شعبان محمد إسماعيل، مكتبة الكليات الأزهرية- القاهرة، سنة ١٤٠١هـ - ١٩٨١ م .

٢- إجابة السائل شرح بغية الآمل، المؤلف: محمد بن إسماعيل الصنعاني، المعروف بالأمير المتوفى سنة ١١٨٢هـ، المحقق: القاضي حسين بن أحمد السيَاغي، والدكتور/ حسن محمد مقبولي الأهدل، مؤسسة الرسالة – بيروت، ومكتبة الجيل الجديد- صنعاء، ط١، سنة ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٣- تيسير التحرير شرح العلامة محمد أمين المعروف بأمير باد شاه المتوفى سنة ٩٧٢هـ على كتاب التحرير في أصول الفقه الجامع بين مصطلحي الحنفية والشافعية لكمال الدين محمد بن عبد الواحد المعروف بابن همام الدين المتوفى سنة ٨٦١هـ، مطبعة مصطفى الحلبي بمصر سنة ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م، وتصوير دار الكتب العلمية- بيروت/ لبنان، سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٤- حاشية العطار على جمع الجوامع، المؤلف: حسن بن محمد العطار المتوفى سنة ١٢٥٠هـ، على شرح الجلال المحلي المتوفى سنة ٨٦٤هـ على جمع الجوامع لتاج الدين ابن السبكي المتوفى سنة ٧٧١هـ، وبهامشه تقرير للعلامة الشيخ/عبد الرحمن الشربيني على جمع الجوامع للإمام ابن السبكي، وبأسفل الصلب والهامش تقريرات قيمة للشيخ/ محمد علي بن حسين المالكي، دار الكتب العلمية/بيروت- لبنان.

٥- الرسالة، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي المتوفى سنة ٢٠٤هـ، المحقق: أحمد شاكر، مكتبه الحلبي- مصر، ط١، سنة ، ١٣٥٨هـ -١٩٤٠م.

٦- العقد المنظوم في الخصوص والعموم، المؤلف: شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي المتوفى سنة ٦٨٢هـ، دراسة وتحقيق: د/ أحمد الختم عبد الله، دار الكتبي – مصر، ط١، سنة ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

٧- القرائن بين اللغويين والأصوليين، تأليف: نادية رمضان النجار، دار الكتب العلمية، سنة ٢٠١٥م.

٨- المستصفى في علم الأصول، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، المتوفى سنة ٥٠٥هـ، المحقق: محمد بن سليمان الأشقر، مؤسسة الرسالة- بيروت/ لبنان، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

٩- المعتمد في أصول الفقه، المؤلف: محمد بن علي الطيب أبو الحسين البَصْري المعتزلي المتوفى سنة ٤٣٦هـ، المحقق: خليل الميس، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، سنة ١٤٠٣هـ.

١٠- منهاج الوصول إلى علم الأصول، تأليف: القاضي عبد الله بن عمر البيضاوي المتوفى سنة ٦٨٥هـ، ومعه تخريج أحاديث المنهاج، تأليف: زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي المتوفى سنة ٨٠٦هـ، اعتنى به وعلق عليه: مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة- دمشق/سوريا، ط١، سنة ٢٠٠٦م.

****

كتب الرجال والتراجم والطبقات

١- أبجديات البحث في العلوم الشرعية، تأليف: فريد الأنصاري، الدار البيضاء، ط١، سنة ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٢- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٠هـ، دار المعرفة- بيروت.

٣- الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط، مؤسسة آل البيت- عمان، سنة ١٩٨٧م.

٤- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة دار إحياء التراث العربي- بيروت/ لبنان، تصحيح وإشراف: محمد شرف الدين بالتقايا المدرس بجامعة إستنبول.

٥- هدية العارفين أسماء المؤلفين آثار المصنفين لإسماعيل باشا البغدادي المتوفى سنة ١٣٩٩هـ، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية- استنابول، دار إحياء التراث العربي- بيروت/ لبنان، سنة ١٩٥٥م.

****

الموضـــــوع
ملخص البحث
مقدمة
أهمية الموضوع وسبب اختياره
أهداف البحث
خطوات البحث
الدراسات السابقة
خطة البحث
المبحث الأول: التعريف بمصطلح "الموصول في موضع الضمير"
المطلب الأول: التعريف باسم الموصول والضمير
المطلب الثاني: الموصول في موضع الضمير وعلاقته بالخروج على خلاف مقتضى الظاهر
المطلب الثالث: مصادر الأمثلة التطبيقية لوضع الموصول موضع الضمير في القرآن
المطلب الرابع: الأغراض البلاغية لوضع الموصول موضع الضمير

إجمالاً عند المفسرين
المبحث الثاني: الدراسة التطبيقية لوضع الموصول موضع الضمير تعليلا في القرآن الكريم
خاتمة
فهرس الموضوعات

****

تم البحث بحمد الله